

عزیز نسین

خواجه دولت



جميع الحقوق محفوظة

١٩٩٠

توزيع مكتبة دار الرازي
حلب - ص . ب ٧٤٨٤
هاتف ٢٢٧٨٩٩

عزیزین

فی احادی لک
تفصیل

ترجمہ: عبد القادر عیدرالی

صیغہ: غلطیوں پر

مقدمة

أعزائي القراء العرب .
منذ أربعة وأربعين عاماً ، أثناء الحرب العالمية الثانية ، كنت ضابطاً في الجيش . كنا نحري مناورات ، وكنا في الساحة ، وعند عودتنا إلى الخيام ، بعد مسيرة ليلية ، سألتنا الجنرال : ترى لماذا نخاف من الليل ؟

أذكر أن أجوبتنا لم ترض الجنرال ، وهكذا أدل بجوابه الخاص : «نحن نخاف الليل ، لأننا لانرى ولا نعرف ما حولنا في العتمة . العتمة هي الجهل ولذلك نخاف منها » .
منذ أربعة وأربعين عاماً ، لم يحصل أُنَى نسيت ابدأ تلك الكلمات ، وسأتذكرها إلى الأبد .

العتمة هي الجهل

والآن اتساءل ما هو العامل الذي يضمن المعرفة الجيدة ، بين اناس من مجتمعات مختلفة : واعطي الجواب : الأدب هو النور الذي ينير ظلمات البشرية . ان خدع الامبريالية وأطماعها قد نجحت وللأسف في ابعاد الشعبين العربي والتركي ، أحدهما عن الآخر ، هذين الشعبين اللذين كانا متعارفين جيداً في الماضي ، كان مطلوباً أن يعادا إلى الظلمات ..
من غير الممكن ان نتعرف الشعبان التركي والعربي ، أحدهما على الآخر ، من خلال العلاقات بين الحكومات والتجارة فقط . لايمكن أن يتحابا دون أن يتعارفا عن كسب . وهناك ما يمكن أن يؤدي إلى المعرفة المتبادلة بيننا بالتأكيد ، انه شعرنا ورواياتنا ، وقصصنا وحكاياتنا ، أو بكلمة واحدة : ادبنا .

سأسعد كثيراً اذا ساهمت ترجمة كتابي إلى العربية في تقاربنا ، وفي التوصل إلى معرفة أفضل بين الشعبين التركي والعربي .. واذا شكّلت شرارة نور لبعض العلاقات بين شعبينا .

عزيز نسرين

٦ آب / ١٩٨٨

سنة صدره في الخزينة

.. يا ما كان .. ما كان ، ما كان .. في قديم الزمان ، مكان ما من العالم ، مكان ،
ما كان فيه شيء . في هذا المكان الذي ما كان فيه شيء ، كان ثمة سلطان ، السلطان
عنده خزينة ، في الخزينة أمانة الشعب الغالية . الشعب يفخر بهذه الأمانة الآيلة إليه من
أجداده .. يتناسى فقره ويؤسه ويتباهى بها قائلاً :

« .. وحتى لو لم يكن عندنا شيء ، يكفيننا أن تكون عندنا هكذا أمانة من
الأجداد » لايفعل ذلك شخص ، شخصان .. وإنما كل فرد من أفراد الشعب يستأثر بحصة
من المباهاة بهذه الأمانة القيمة الباقية له من أجداده .. يحميها بروحه وجسده .

وطالما أن أحسن مكان لحفظ الأمانة التي هي مال الشعب ، هو خزينة السلطان ،
فقد حُببت فيها ، يجرسها رجال مدحجون ، لا يغمض لهم جفن ولا يدعون الطير تطير
فوقها .

السلطان والصدر الأعظم وذوو المراتب في القصر يقسمون بشرفهم مرة كل عام على

حمايتها .

ودارت الأيام ، ومرت الأيام .. حتى جاء يوم فكر فيه السلطان بمعرفة ما هي هذه
الأمانة التي يستفديها الناس بأرواحهم ودمائهم ، فصار يتحرق شوقاً إلى معرفة ما بداخل خزينة
الأمانة تلك . ولم يعد يطيق صبراً فدخل جناح الخزينة .

لايستطيع الحراس القول للسلطان « ممنوع » .. فالسلطان والصدر الأعظم

والوزراء يدخلون متى ما شاءوا ليروا ما إذا كانت الخزينة لا تزال في مكانها .
السلطان فعل هكذا : الأمانة موجودة في غرف متداخلة ، كل غرفة تؤدي إلى أخرى ..
حتى الحادية والأربعين ، حيث الخزينة . الخزينة في خزائن متداخلة ، كل خزانة تفتح عن
خزينة .. حتى الحادية والأربعين . فتح الأربعين غرفة وخش الحادية والأربعين . فتح أربعين
خزينة .. وبينما كان يفتح الحادية والأربعين ، أخذ قلبه يضرب .. ذلك أنه كان يمتلك الكثير
من الفضول لمعرفة الشيء الذي يحمله طيلة هذه السنين . فماذا رأى ؟
كانت جوهرة لم تقع عين بشر على مثيلها حتى ذلك الزمان .
جوهرة تتلألأ وتضطرم كالسنة النار . لو قلت من ذهب ما حزت ، أو قلت بلاتيناً
لأخطأت ، أو قلت من فضة ما أصبت .

لم يتالك نفسه ، قال : « آخذ أمانة الأجداد هذه لي ، تصبح ملكي .. ومن الذي
سيعرف ، وكيف ؟ » .

أخذ الأمانة المقدسة التي كانت تتلألأ كقطعة من الشمس ودسها في جيبه . لكنه
بدأ يتخوف « ماذا لو اكتشفوا أنني سرقها ؟ .. لأضع مكانها قطعة من الذهب مزينة بالماس
واللؤلؤ والزمرد والصدف والياقوت . وطالما أنه لم يسبق لأحد أن رآها فلن يفهم أنها
مسروقة ، فيما لو فحنت الخزينة ذات يوم .. » .

ومظلماً قال فعل . أقل إحدى وأربعين خزانة متداخلة ، وفوقها واحداً وأربعين
باباً ، وهو يرتعش من خشية أن يشك أحد أنه سرق الأمانة .

حتى ذلك الزمان كان يُقسم بين واحد في السنة على حماية الأمانة ، فضاغفها إلى
مرتين : يجتمع أبناء الشعب والمديرون والسلطان ويقسمون على أنهم سيحمون الأمانة
المقدسة الباقية من الأجداد ، بأرواحهم ودمائهم .

الصدر الأعظم رجل داهية . داخله الشكل فقال لنفسه : « كنا نقسم مرة في
السنة ، فلماذا رفعتها السلطان إلى اثنين ؟ » .. وفي يوم من الأيام دخل جناح الخزانة
موسوساً : « ما هي هذه الأمانة التي نحملها طيلة هذه السنين ؟ » . مر من إحدى وأربعين
غرفة ، فتح إحدى وأربعين خزانة ، رأى الأمانة . وقف مشدوهاً أمام قطعة الذهب التي
وضعها السلطان لئلا يتببه لقلته أحد : « آخذ هذه الأمانة مكانها قطعة ذهب مزينة
بججارة لماعة . وكيفما كانت ، وطالما أن الأمانة لا يعرفها أحد ، فإن من يفتح الصندوق يوماً
سيحقد أن هذه هي الأمانة المقدسة .. » .

ومظلماً قال فعل . وخوفاً من أن تُكشف عملته أزعج أن يرفع عدد المرات التي يقسم

فيا يمين إلى أربع : في الصيف والشتاء والربيع والخريف ، مثلما سبق للسلطان أن رفعها إلى
النتين .

أحد الوزراء رجل داهية . دخل الشكل نفسه : « كنا ، حتى الآن نقسم مرتين ،
فلماذا زادوها إلى أربع ؟ » .

هو الآخر ، وطالما أنه يستطيع الدخول دون اعتراض من أحد ، فقد دخل يوماً عبر
الإحدى وأربعين غلافة ، فتح الإحدى وأربعين خزينة ، فلمعت عيناه بالفرح إذ رأى قطعة
الذهب المزينة بالحجارة اللماعة : « لو آخذها وأضع مكانها قطعة فضة ، فمن سيرف
..؟ » .

ومثلما قال فعل . ورفع — مدفوعاً بخوفه من أن يكشف أمره — عدد مرات الحلفان
إلى مرة كل شهر .. صار الشعب يجتمع في الساحات العامة مرة كل شهر ، ويقسم على أنه
سبحمي الأمانة المقدسة حتى آخر رجل وآخر قطرة دم .

مشرف القصر واحد داهية ، توسوس من رفع معدلات الإقسام إلى مرة في الشهر .
قال : « ثمة ما يريب ، لأذهب وأر » . مر من الإحدى وأربعين غرفة ، فتح الإحدى
وأربعين خزينة .. رأى أمانة الأجداد المقدسة فأعجب بها : « لو آخذها وأضع مكانها قطعة
نحاس فمن الذي سيدري؟ » .

ومثلما قال فعل . فعلها ، وخوفاً من افتضاح أمره ، ولكي يحصد الناس أنه حريص
عليها ، فقد جعل اليمين يقسم مرة في الأسبوع .

الضابط الذي يحمي الخزينة — هو الآخر — داهية : « ما الذي يجري ؟ كل اسبوع نقسم .
لأذهب وأر هذه الأمانة المقدسة .. » . وكما فعل الآخرون ، مر من إحدى وأربعين غرفة ، فتح
إحدى وأربعين خزينة . رأى قطعة النحاس اللامعة ففرح بها : « إذا أخذتها ووضعت مكانها
قطعة حديد ، فمن سيرف ..؟ » .

ومثلما قال فعل . ولكي يخلص من عملته ، وليعتقد الناس أنه غيور على الأمانة يفتديها بروحه
وجسده ، فقد رفع معدلات الحلفان إلى مرة في اليوم .

.. ودارت الأيام ، ومرت الأيام .. ظهر من بين الناس رجل ، قال :

— كل يوم ونحن نقسم على أننا سنحمي الأمانة الباقية من الأجداد بدمائنا وأرواحنا ..
ونحن في واقع الحال نخفيها في الخزينة ونحميها على نحو جيد .. لكن ماهذه الأمانة ؟ ألسنا نحن

المؤمنين عليها ؟ تعالوا إذن نفتح الغرف والخزائن لنر ما نحسي .

أحدثت كلمات الرجل تأثيراً كئاثراً القنبلة . الذين خانوا الأمانة ، وعلى رأسهم السلطان ، تقدموا نحوه وطوقوه ، الذين أخذوا الأمانة ، على التوالي ، واستبدلوا بأشياء مزورة ، وكل واحد منهم يعتقد أنه فعلها دون علم الآخرين ، ارتعشوا خوفاً من اكتشاف السرقة ، فقالوا للرجل الذي قال لنر الأمانة التي نحسيها :

— آخ ياخاين .. وأنت من أنت حتى ترى الأمانة المقدسة التي انتقلت بنا من

الأجداد ؟؟

أليسو تهمة الاقلال من هبة الأمانة .. وما بقي إلا شيء قليل حتى يتحول الرجل الى

(ممسحة) .

قال السلطان :

— إذا كنا سنقتل هذا الرجل فلنقتله وفق القانون

ولكي يمدوا الرجل سنوا قانوناً خاصاً ، وقتل الرجل بقرار من محكمة خاصة .

يبد أن المسألة لم تنته باعدام الرجل . كلماته انتقلت من فم الى فم .. والفكرة أخذت،

ير كجرف ثلجي .

في يوم من الأيام فكر رجل من الناس : «لنذهب ونر هذه الأمانة طالما أننا سنموت في

سبيلها» . لكنه — ولأنه يعرف ماجرى للذي قبله — لم يتفوه بكلمة أمام بشر ، وضع في رأسه

أنه سيتسلل الى الخزانة ويرى ما بداخلها سراً .

السلطان والصدر الأعظم والوزراء ، وكافة حرامية الأمانة ، بمن فيهم الضابط الذي

استبدل قطعة الحديد بتنتكة صدئة ، ولكيلا تظهر سرقتهم ، أو بالأحرى لئلا يكتشف أنهم

استبدلوا صاروا يجرسونها على نحو أشد .

وبينما كان الرجل الذي نجح في الدخول سراً إلى الخزانة ، بينما كان خارجاً بالأمانة المقدسة

ليتها للناس ، رأى الضابط التنتكة في يده ، فصرخ :

— هذه ليست هي !

الوزير قال أيضاً : هذه ليست هي !

الذين في القصر ، بمن فيهم السلطان ، قالوا :

— هذه ليست هي !.. هذه ليست هي !..

فسألهم الرجل المسك بالتنتكة بالصدئة :

— .. وكيف عرفتم أن هذه ليست الأمانة المقدسة ؟ وإذا لم تكن هي ، فما هي .. ؟
لم يتمكن أحد من الحاضرين من الاجابة على سؤاله ، ذلك أن كل واحد منهم قد فهم
أن الشيء الذي وضعه بدل الأمانة قد سُرق فيما بعد .
خفقوا الرجل المسوك وأعادوا التنكة الصدئة الى مكانها ضمن احدى وأربعين خزانة
واحدى وأربعين غرفة . ولحماية الأمانة المقدسة سنوا قانوناً يتوجب على كل فرد من الشعب
بموجبه أن يحلف صباحاً وظهراً ومساءً على حماية الأمانة المقدسة .
ولم يستطع أحد من الذين يقسمون الأيمان أن يعرف أن الأمانة قد تحولت — من سرقة الى
سرقة — الى تنكة صدئة .

رجل يعيس في روما القديمة

وقعت لي الحادثة التي سأرويها لكم عام ١٢٨ قبل الميلاد . تفضلوا بالانتباه ، أقول (وقعت لي) ، ولأقول (وقعت) وحسب . لم آخذها من كتب التاريخ ، لكنها مرت على رأسي .

(التناسخ) كلمة تطلق على عملية انتقال الروح . بمعنى أن الناس المعاصرين ، يمكن أن يكونوا قد عاشوا في أجساد أناس آخرين ، أو ربما في أجساد حيوانات ، أتصدقون ذلك ؟ صدقتم أو لم تصدقوا ، هذا لا يهمني .

أنا الليلة الفائتة ، كنت أعيش في زمن يقع قبل ألفين وأربع وثمانين سنة ، أي أن روح القدس لم تكن قد خشت رحم مريم العذراء بعد .. ولم يكن لحضرة عيسى اسم أو ذكر .

العام ١٢٨ ق.م ، وأنا مواطن رومي ، عندي فيلا كبيرة وسط حديقة واسعة على سفح جبل (بلافيوم) . قبل ثلاث ليال أمت فيلتي مجموعة من الضيوف : فلاستوس ، يوليوس بيروس ، تيسازون .. وآخرون من الأحبة . أنتم لاتعرفون أحداً منهم ، لذلك سأوضح لكم ، على نحو موجز ، شيئاً عنهم :

● صديقي فلاستوس : مصارع مشهور . قبل مدة نازل مصارعاً معروفاً في الكوليزيوم^(١) . كم أتمنى لو كنتم شاهدتم ذلك النزال العنيف . عندما نزل المصارعان الى الساحة ارتفع صراخ

(١) طراز من الصالات المعروفة في روما القديمة .

الستين ألف متفرج حتى كاد أن يهجم الآذان ؛ ذلك النوع من الصراخ الذي لانسمع مثيله اليوم إلا في اجتماعات الأحزاب ، وفي مباريات الفرق الوطنية لكرة القدم . التفت فلاستوس صوب شرفة الكونسل^(٢) ، حياه باحترام ، صرخ :

— (وداعاً يا كونسولنا المحترم ، إن الذين سيموتون الآن يموتونك)^(٣) .

فصفق الجمهور على نحو يمكن أن تكونوا قد شهدت مثيله في ثمرة لاحدى عارضات السترييتز . تنازل المصارعان! لثلاث ساعات ونصف الساعة ، وفي النهاية طرح فلاستوس خصمه أرضاً ، دون شفقة . لقد كان منظر ارتفاع وهبوط صدر المصارع المطروح أرضاً تحت الدرع البرونزي المتلامع تحت أشعة الشمس ؛ كالنفاخ ، منظرًا يستحق المشاهدة . مد المصارع المغلوب إصبعيه باتجاه المونسول راجياً إعفاءه من الموت ، فصاح المتفرجون الهائجون :

— الموت .. المؤ .. و .. ث !

على نحو شبيه بصراخ متفرجي كرة القدم :

— ج .. و .. و .. و .. ل !

مد الكونسل يده التي تشبه الخلب فوق الغطاء الخملي المطرز بالذهب المغطي الشرفة . أحنى رأسه قليلاً (وهذه إشارة الى فلاستوس أن أزيه خصمك !) رفع فلاستوس حرته وأغمدها في قلب خصمه المطروح على الأرض . هذا هو صديقي فلاستوس .

● صديقي يوليوس يبروس : زميل حرب ، جنرال مشهور كان على رأس الجيش الذي قوض المملكة الهلينية .

● وأما العزيز سومبيوس فقد كان في السابق عبداً ، وكان طبيباً وفيلسوفاً ذائع الصيت ، أعتقه سيده بعدما أبراه من مرض ألمّ به . هذا العبد المتنقل بعقله ومعرفته من العبودية الى مصاف البطاركة ، أصبح ، فيما بعد ، تريبوناً^(٤) في المجلس .

● وكان صديقي تيسارون في شبابه من أفضل متسابقي العربات في روما ، وهو الآن من كتاب الشعر والمسرح .

سارت الوثيمة التي اقيمت في بيتي على نحو رائع . العازفون عزفوا على الهارب والليلر والقيثارة .. الراقصات قدمن أجمل ما عندهن .. المشروبات جرت كالسيلول . وكان فلاستوس

(٢) أحد الحاكمين الرئيسيين في روما القديمة .

(٣) العبارة التقليدية التي يقولها المصارعون قبل النزال .

(٤) عضو في مجلس المدافعين عن حقوق الشعب الرومي ..

بطل الوجمة . عشرون صينية مملوءة بالمأكول والمشروبات والمواخ جيء بها إلى أمام الأنيكة التي تمدد عليها طيلة ثلاثة أيام . تقياً أربع مرات ، وكان يعود بعد كل مرة الى متابعة الأكل والشرب . يمكنكم أن تشاهدوا مثله اليوم في الولايم التي تقام للصحافيين .

لكم كانت وجمة رائحة تلك التي استمرت ثلاثة أيام على أكل وشرب ، حتى سقطنا جميعاً في حالة اغماء . كما هو الحال في ولايم الافتتاح اليوم .
وصحونا ..

بعد الحمام اذهنت بالعطر ، ربيت عباةقي على كتفي ، وخرجت لألوي على شيء ..
حتى وجدنتي أدخل فيلاجاري بلايوس فابتدري قائلاً :

— غداً سنذهب للصيد . جهز نفسك والرجال .

— عمل الغد سهل ، لكن اليوم ، ماذا تفعل ؟

(بلايوس واحد من حزينا ، له خدمات كثيرة للحزب) قال :

— نذهب الى السباق ، إذا كنت ترغب ، فاليوم ثمة متسابقون أشداء .

— تعبان يا بلايوس .

— نذهب إذن الى المسرح الكبير ، ثمة عمل جيد .

وهينا ، بلايوس وأنا ، إلى المسرح الكبير ، حيث كانت تُمثل كوميديا لحسابيانوس . أنا لأحب حسابيانوس ذلك الواطي الذي يجب أن يقتلع لسانه ، لأنه كالمسم . في كل مسرحية له يجرّح الكونسول أو مجلس الأشراف أو مجلس الشيوخ أو الحاكم الشرعي . كم مرة قلت (لثته هذا الرجل ، لنعطه نبيذاً مسموماً في وجمة ما !) ، فكان فيلسوفنا سوميوس يقول :

— روما جمهورية ، وفي الحكم الجمهوري ، هذا لايجوز . لكل الحق في أن يكتب أن يقول مايشاء .

استاء كثيراً من هذا الحسابيانوس . لو كنت الكونسول لرميته الى كلاب كلبانة لتقطعه على ملاء من الناس . لو أن الهور أكلت جثته لتسممت .. واحد وسخ .. استاء كذلك من الناس الذين يملؤون الصالة الكبيرة عندما يقوم لهذا المهلهل بتقديم احدى مسرحياته . لكنهم ، معظمهم ، من الغوغاء .. القلة القليلة من المواطنين الأصليين ، من الشيوخ والشرفاء ، هي التي كانت تحضر .

كانت حسابيانوس يجرّح حزينا : قال جماعتنا قد زورت الانتخابات . قالها بوضوح تام .. وحتى لو كانت ملففة ، لكنها مفهومة . عندما انتهى أو شكت الصالة الكبيرة على

السقوط من فرط التصفيق . تضاهقت . أخذت طريقي الى فيلتي وأنا أسب وألعن . لكن ما هذا ؟ ما الذي يحدث ؟ كان ثمة جمهرة من الناس أمام الفيلا . اندفع عبيدي الى الخارج . سألتهم :

— ما الذي يحصل ؟

— سيدنا ، لقد حضر الجنود ليعتقلوا ولدكم قرعبيوس . كان على رأس الجنود الذين قدموا لاعتقال ولدي ، صديقي العزيز يوليوس بيروس . قلت له :

— ما هذا العمل يا بيروس ؟

— لأدري ، لكن الاشاعات تقول إن ولدك قرعبيوس قد كتب شعراً يقول في أحد أبياته : (إن الطريق المؤدية الى روما .. مغلقة) .

— إي ؟ وأي شيء في هذا ؟ أليست روما مغلقة بسبب حفر الكهريز ؟ هل كذب ؟ — لأعرف .. قد يكون في هذا ذنب ، وقد لا يكون . عندما يقول المرء الحقائق التي يعرفها فانه قد يقترف بذلك ذنباً . أنت تذكر السبب الذي قتل من أجله عدسيوس . الكل يعرف أن روما تدار بحكم جمهوري ، ومع ذلك قتل لأنه صاح (روما جمهورية !) . أنا لأعرف شيئاً عن سبب الاعتقال ، ولكن معي قراراً بذلك .

— ومن الذي أصدر هذا القرار يا يوليوس بيروس ؟ قل لي بسرعة .. سأحضر أجله وحق

جويتير .

واستللت خنجري من غمده ، فمد يوليوس بيروس الورقة قائلاً :

— عدوك هذه الورقة . الأمر هنا . أقسم لك بمارس على أنني لا أعتقل ولدك من تلقاء نفسي . أنت تعرف أنني لأفعل شيئاً سوى واجب الوظيفة .

— نعم ، الوظيفة وظيفة . لكن ، من هو معطي القرار ؟

— إنه مدير الناحية بلاكيوس .

في طريقي الى مدير الناحية ، وعباءتي تهفّف في كل الاتجاهات ، التقيت صديقي الفيلسوف سوميوس . قال لي :

— ما هذا الاضطراب يا قفلبيوس ؟ أبطاردك إله الجحيم ؟

لقد أمر باعتقال ابني قرعبيوس .

— بلاكيوس لا يستطيع الاتيان بشيء من عنده ، لا بد أنه قد أخذ أمر الاعتقال من

جهة أخرى .

سألت سومبيوس :

- ألسْتُ مواطناً صافياً من الأشراف ياسومبيوس ؟
- بلى . فأنت مواطن رومي أصيل متحدر من أب وأم روميين .
- ألسْتُ صاحب أرض ومزرعة وعبيد ؟
- بلى يافلفليوس .
- ألم أدل بصورتى حتى ركب هؤلاء مناصبهم ؟
- أدليت يافلفليوس .
- فكيف تعمل لي عملة كهذه ؟ أليس هذا ظلماً ؟
- ظلم يافلفليوس ، ظلم .
- ثمة آثم إذن عملها .. سأقتله وحق جويتير .
- لا تخلف يافلفليوس . فعندما ستجد المذنب الحقيقي لن تقدر على قتله . خنجرك لن ينزل في صدر القتال ، بل في غمده .
- حلفت ميمناً معظماً .. وسترى .
- أطراف عباتى تتطاير ، خنجري في يدي ، سألت مدير الناحية بلاكيوس :
- أنت من يعتقل ولدي لأنه قال الحقيقة ؟
- ليس لي ذنب . انظر ، ها قرار خطي من مدير المنطقة ركضت الى مدير المنطقة :
- إني أنفذ ما أمرت به . انظر ، ها قرار خطي من المحافظ زياربوس .
- ركضت الى المحافظ :
- أنت من يعتقل ابني ؟
- لا يافلفليوس . أنا أيضاً حزنت لاعتقال ابنكم الذي قال الحقيقة .
- من الآثم إذن ؟ أروني الأوراق وجدران اللواوين .. لأن ابني قال الحقيقة ، جاءت هذه الأوراق والجدران لتعتقله ؟ أقاتل الأوراق بخنجري ، أم أمرق الجدران بأسناني ؟ قل لي من هو عدوي .
- قدم لي زياربوس مجموعة من الأوراق :
- ها قرار مجلس الأشراف ، وتواريخ ثلاثة منهم عليه .
- سحبت نفساً ، هرعت إلى مجلس الأشراف :
- ألسْتُ فلفليوس الذي يبيع دمه فداء لروما ؟

- نعمة لمواطن روما البطل ، أفضل عضو في حزينا ..
- لتغير التحية : مع البطل في جوف الأرض . أنتم من يعتقل ابني ؟
- نحن ؟ كيف نعمل عملاً كهذا ؟ الكونسول هو الذي أمر .
- الكونسول ؟ سنال جزء هذا الظلم .
- خرجت لى أمام الكونسول أو كتاميروس ، ونحن جري في يدي صحت به :
- هل أنت عدوي ؟
- هل جننت يا فلفلويس ؟ أنا لست ملكاً ولا امبراطوراً . روما تدار بحكم جمهوري .
- هاك قرار اعتقال ابنك .
- الأوراق الأوراق .. دائماً تظهر الأوراق لي .. وهل هي من يعتقل ابني ؟ ليخرجن .
- أحد ما أمامي .
- القرار من مجلس الشيوخ يا فلفلويس . القرار قرارهم ..
- انتفضت كالريح ... سأجد عدوي حتماً . في الطريق صادفت رجل الشوم
- حسايانوس ، الرجل الذي يكتب مسرحيات يغمز فيها من قناة مجلس الشيوخ :
- أ رأيت يا حسايانوس ؟ يعتقلون ابني لأنه قال ان الطريق المؤدية الى روما مغلقة ؟
- ليس هذا تمسفاً ؟
- بلى ، إنه تعسف .
- ومن الظالم ؟ من عدوي ؟ .. وفوقها يطلعونني على أوراق عليها أوامر .. آأحارب
- الورق ؟
- كيف ستواجه الفاعل إذن ؟
- وحق جوهر لأجطن جته طعاماً للطيور الجارحة .
- هو الآخر كرر مقاله سومبيوس :
- إذا عوت على الفاعل فلن تستطيع فعل شيء .
- لا أستطيع ؟ سترى . لقد حلفت أيماناً معظمة على أنني سأعمر على أول من أصدر
- هذه الأوراق .
- إنه مجلس الشيوخ بلا شك .
- نعم .
- ومن هم أعضاء مجلس الشيوخ ؟
- إنهم أعضاء حزينا ..

— ومن انتخبهم ؟

— أنا .

— وبعد ؟ هل ستظل تبحث عن المذنب ؟

رفعت خنجرى وهويت به على صدري فاصطبغت عباءتي البيضاء باللون الأحمر .. قلتُ

المذنب !

لاشيء أسوأ من أن يتذكر المرء أنه قد عاش في لبوس آخر ، في عصر آخر ..

هل بينكم من عاش مثلي في جمهورية روما عام ١٢٨ قبل الميلاد ؟

بامور قديمي... الحمد لله

كان ، في قديم ... م الزمان ، على هذه الأرض المطحية ، مكان : أطرافه جبال ،
أواسطه بساتين . مياهه جارئة ، سماؤه صافية . في هذا المكان ، وكما هو الحال في كل مكان ،
كان ثمة كائنات أخرى ، غير الانسان .. زواحف ، صرصر سامة ، عنكب . لم تكن تلك
الكائنات كثيرة ، بالقياس الى الأماكن الأخرى ، وكذلك لم تكن قليلة ، لذلك لم تلفت انتباه
أحد .

كان على رأس تلك الدولة حاكم يدعى (الباش باي) ، وهذا ال (باش باي) ينتخب
انتخاباً . كل من يمتلك الرغبة يستطيع ترشيح نفسه ، والناخبون ينتخبون من يروق لهم ،
والحائز على أكنية الأصوات يصبح ال (باش باي) .

ومرت الأيام .. حصل في تلك الدولة تغير مدهش الديدان ، الأفاعي ، أمهات أربع
وأربعين ، السحالي ، العقارب ، العناكب .. أخذت تتكاثر يوماً بعد يوم ، وتنمو . استطلت
الأفاعي حتى صارت واحدها بطول البلوطة ، وشخت فصارت كجذع البلوطة . تضخمت
العناكب ، تضخمت ، حتى صارت الواحدة منها بمجم بيت . كبرت السحالي حتى إن
الفراخ المولودة لها كأنها هي تماسيح .. الأم أربع وأربعين الواحدة صارت بطول قطار الركاب .. أما
الحفائش فقد صارت أجنحتها وكأنها (الشوادر) .

ركز الناس العاقلون ، والعلماء المبجلون ، وذوو الفضائل والأخلاق الحميدة ، على
أسباب تلك الظاهرة . فكروا ، لكنهم لم يستطيعوا ، ولايشكل من الأشكال ، معرفة سبب نمو

وتكاثر الكائنات الضارة يوماً بعد يوم .

ولم يتوقف الأمر عند ذلك الحد ، فقد أخذت تلك الكائنات الضارة تلسع وتعقر وتسمم الناس .. والأمر المدهش أن الملسوعين ما كانوا يموتون ، السموم تخدر العقل ، ولا تميت الانسان ، بل تُدخله في حالة من اللانوم — اللاصحو ، وتعطيه شعوراً بالنشوة .. والمختلط السم بدمه يدمنه فوراً . صار هؤلاء الناس لا يطيقون صبراً ، فراحوا يضعضون أنفسهم للأفاعي والعقارب ، ويقدمون أنفسهم للعناكب ولأمهات أربع وأربعين لتلسمهم ، أو للخفافيش وللسحالي لتمص دمهم . ولم يكن لتلك النشوة ذروة ، ومن يجرب السم لا يستغني عنه البتة ، ويطلب المزيد في كل مرة . حتى إن الذين كانوا يسممون أنفسهم مرة في الأسبوع أصبحوا يطلبون السم مرة كل يومين ، ثم صاروا يتعاطونه في اليوم مرات .

بحث الرجال الذين يدركون أهمية العقل للتفكير ، الأذكاء ، وريقو القلوب ، عن طريقة لتخليص الناس من سموم الأفاعي والديدان . لكن الآخرين ، الذين أصروا على تسميم أنفسهم ، وقفوا في وجه أصحاب الفكر أولئك .. لذا انقسم سكان الدولة الى فريقين : المدمنين سم الأفاعي والديدان ، الذين رأوا ذلك السم مفيداً جداً ، المدافعين عن حقهم في تعاطيه ، والآخرين الذين قالوا بالنقيض .

ازدادت سرعة الديدان والأفاعي وأمهات أربع وأربعين والسحالي والعقارب والعناكب في العض واللسع ، وازداد عدد مدمني السم يوماً بعد يوم .. حتى صار الآخرون قلة قليلة .
ومرت الأيام .. دخل مدمنو السم مرحلة جديدة . لقد أخذت وجوههم وأعينهم وأيديهم وأرجلهم ، من فرط تعاطيه، تتغير . صار لون بشرة أولئك الذين يضعضون أنفسهم للأفاعي ، يتحول الى الأخضر ، في حين بدأت أجسامهم تتطاوّل ورؤوسهم تصغر .. وبعد حين أصبحوا لا يختلفون عن الأفاعي ، يزحفون على الأرض ويعملون على عض الآخرين ، يزحفون على الأرض ، ويعملون على عض الآخرين وتسميمهم .. آخرون استطالت أصابعهم وأظفارهم ، وغلّت أيديهم وأرجلهم وامتدت ، ونبتت لهم أيد وأرجل جديدة ... وفضأة تحولوا الى عناكب ضخمة ، وصاروا يطيلون أنفسهم على الآخرين . واستمرت الأمور على هذا المنوال ، المتسممون ، المختلط السم بدمائهم تحولوا الى أفاعي وديدان أو خفافيش أو حلزونات أو سحالي .. والآخرون ، من أجل الإبقاء على انسانيتهن ، قاومن ، كلما واتهم الفرصة ، ويقدر ما استطاعوا ، ويقدر ما أمكنتهم فعله ، وبألستهم أيضاً .. صرخوا :

— أيها المواطنين !.. انسانيتهكم احفظوا .. لا تتعقروا ، لا تتعكبوا .

قالوا قلوبهم هذا ، لكنهم لم يؤثروا على أحد . صار المتفرون المتسممون المتكاثرون باستمرار يقولون رداً عليهم :

— خونة . سفلة !

ويهاجمونهم .

ومن هنا أخذ عدد المحافظين على انسانيته يتناقص ، أصبحوا قلة قليلة ، يخافون من أن لايقى على أرض تلك الدولة ديار من البشر .

... واقتربت الانتخابات . ولأن الرأي العام كان مع المتحولين ، فان الذي سيصبح ال (باش باي) سيكون واحد من أولئك الذين اتخذوا هيئة الأعمى ، اللودة ، الخفافش ، العنكبوت ...

كان في تلك الدولة مثقفون فكروا (ماهذا الذي حل بنا ؟ كيف يمكن أن نحمي مواطنينا وننقذهم منه ؟) .. ثم توصل كل مثقف ، حسب طريقته في التفكير ، الى رأي . قال أحدهم :

— يجب ألا يعد في عداد البشر أولئك الذين أدمنوا السم ، والذين تعنكبوا أو تزحفوا ، اذ لم يبق من انسانيته شكل ولا مضمون .. وعليه ، يجب ألا يُشركوا في عملية الاقتراع على ال (باش باي) .

لكن ، ومهما تكن هيئته لا انسانية ، فهم ، حين ولدوا ونشأوا ، كانوا بشراً ، وأولادهم يولدون على هيئة البشر ، ولولا اختلاط السم بدمهم لظلوا بشراً .
قال مثقف آخر :

— حتى يكون الانسان انساناً يجب عليه أن يأكل بالشوكة ! آخر قال (يجب أن يرتدي البنطلون مكبواً) .. غيره قال (يجب أن يخلق ذقنه يومياً) لكن هذا كله لا يكفي لحماية انسانية الانسان .

ثم راح مثقفو تلك الدولة يقولون (لتر الدول الأخرى .. هل ثمة من تغير شكله ، قابله ، مضمونه ، عندهم ؟ فإذا كان عندهم من تغير هناك ، كيف يتصرفون ؟ لنذهب ونر كيف يعالجون ذلك) .

وكا قالوا فعلوا . ذهبوا الى دول أخرى ، بحثوا في انسانها . ولكي يكونوا نافعين لشعبهم عادوا الى بيوتهم وذريهم لطبقوا مارأوه وتعلموه هناك . وكا حصل في السابق ، تقدم كل منهم برأي حسب طريقته في التفكير . قال أحدهم :

— لنجعل نوافذ بيوتنا أكثر اتساعاً مما هي عليه ..

وقال آخر :

— لنأخذ انسان الدول الأخرى مثلاً ..

— لترسل انساننا الى الدول الأخرى حتى يرى انسانها ..

حتى إن أحدهم قال (يجب أن ينظ المواطن ثلاث نطات في اليوم) (يجب أن ينام في الفراش على الجانب الأيسر) .. وهكذا حتى ظهر بينهم رجل صاحب عقل مفكر . قال :

— اسمعوا ! أنا أعرف سبب تكاثر تلك الزواحف والصراصر . لقد اطلعت على تجارب الشعوب الأخرى وفهمت : هنالك رياح تعصف ، هذه الرياح ملائمة جداً للزواحف والصراصر في تكاثرها ونموها . وهذه الرياح تعصف من الشرق ، لقد لاحظت أثناء تجوالي أن الدول الكائنة في طرف يصد فيه الجبل تلك الرياح ، لا يحدث فيها ما يحدث عندنا . فتعالوا نضع عقولنا في رؤوسنا ، قبل أن يفوت الأوان ، ويحدث ما يمكن أن يحدث .. تعالوا نسد الجهة التي تعصف منها تلك الريح .. ألا وهي الشرق .. وإلا فسيأتي يوم تتغير فيه جميعاً ، ونخرج عن انسانيتنا ، لنصبح أفاعي وديدانا .

ثمّة من صدق هذا الكلام ، ومن ضحك غير مصدق . غير أن الذين صدقوه أخذوا العمل على عاقبتهم وهاشروا الحرب على كل من دخل في هيئة الزواحف السامة والعناكب والسحالي والخفافيش . لقد كانت حرب بقاء أو فناء ، دموية للغاية . حتى إن الباش باي وقف في صف الأغلبية .

كانت لتلك الدولة أسوار عالية ومميكة ، كأنها قلعة تحميها من الأعداء . وكان لكل جهة من جهات الأسوار تلك الباب . وفي الوقت الذي حاول فيه الذين ظلوا بشراً إغلاق الباب الشرقي من الداخل ، استند الآخرون عليه من الخارج كيلا يغلِق . وقد أهدقت الدماء كالسيول .. وفي نهاية الأمر انتصر الذين كانوا في الداخل ، وبقي الآخرون خارج السور . كسب صاحب تلك الفكرة تأييداً كبيراً وصار الـ (باش باي) .. وقال لمواطنيه :

— احذروا من شق هذا الباب . إذا فتحتموه قليلاً لن تستطيعوا الحفاظ عليه . إنه باب إذا شق بعرض إصبع واحدة فسيجيء يوم يفتح فيه على مصراعيه .

بعد زمن مات ذلك الرجل الذكي . جاء بعده كثير من الباشبايات المنتخبين . وكلما كان الحال في قديم الزمان ، وفي كل زمان ومكان ، كان في تلك الدولة زواحف وصراصر . لكن ، طالما أن الباب الشرقي ظل مغلقاً ، ولم تعصف به الرياح الشرقية ، لم تتكاثر ، ولم تنم أكثر مما هي عليه .

ودارت الأيام .. بدأت المنازعات بين المرشحين لمنصب الـ (باش باي) . هذا يقول أنا وذاك يقول أنا . في الحقيقة لم يكن بين المرشحين أحد يريد للانسان أن يتعقرب أو يتعكب مرة أخرى . لم يريدوا ذلك ، لكن ، ماذا بيدهم ، عليهم أن يكسبوا أصواتاً أكثر .

فكر باش باي ذلك الزمان ، فوجد أنه إذا نال ثلاثة أصوات إضافية فإنه سينجح في الانتخابات . قال لنفسه :

— سأفتح الباب بمقدار ثلاثة أصوات .

وكا قال فعل . لم يترك منصب الـ (باش باي) لغوي .

الذين رأوه من المرشحين الآخرين فتحوا الباب أكثر ليدخلوا منه الناخبين الذين سيعطونهم أصواتهم . هم أيضاً لم يريدوا فتح الباب على آخره حتى لا يدخل الجميع ، واكتفوا بفتحه بمقدار الأصوات العشرة التي لزمتهم . ومن جهة أخرى وضعوا أرجلهم ليدفعوا الباب حتى لا يدخل منه أكثر من العدد اللازم .

بدأ فتح الباب لمشرة أصوات ، ثم لمائة صوت ، وفي كل مرة كان يفتح أكثر .. حتى جاء يوم فتح فيه الباب على مصراعيه .

ولأن الـ (الباشبايات) لم يرغبوا بفتح الباب على مصراعيه ، فقد أعطوا أوامره لرجلهم

قاتلين :

— ادفعوا من الداخل .. واصمدوا .

دَفَع من الداخل ، ودفع من الخارج ، والباب : نهك نهك ، يدور على محوره .

ومنذ ذلك التاريخ والباب الشرقي لتلك الدولة : نهك نهك ، يدور على محوره .. وما يزال

الـ (باشبايات) يصيحون :

— اصمدوا .. يا مواطني .. اصمدا

رسالة من حضرة عيسى

في يوم من الأيام كان عيسى عليه السلام جالساً مع طبيب جراحة تجميل وميكانيكي سيارات في أحد الكازينوهات . كان عيسى عليه السلام يلقيهما تعاليم الدين . أثناء الحديث وجه ميكانيكي السيارات إلى عيسى عليه السلام سؤالاً :

— أيها المعلم الأكبر .. إن في داخلي اندفاعاً كالنار من أجل عمل الخير للإنسان . ففي أي طريق أستطيع عمل الخير ؟

قال عيسى عليه السلام :

— يجب أن تعمل الخير حسب شريعة الرب .

قال ميكانيكي السيارات :

— تحسن لمن يسيرون إليك فتخجلهم من كونهم أساؤوا ؟

قال طبيب جراحة التجميل :

- جوهر الانسان سيء . أقول هذا مستنداً إلى تجاربي .. الانسان سيء !

قال ميكانيكي السيارات :

— لا . هنالك الاحسان بين الناس . أستم أفضل انسان في مدينة أريحا ؟

الحقيقة أن طبيب جراحة التجميل أغنى أغنياء مدينة أريحا وأكثرهم حياً للخير .

دهش الميكانيكي من قول انسان على هذا القدر من الجودة : إن الناس سيئون . قال

الجراح : أنا مختلف .. طوال عمري وأنا أقدم المعروف للناس .. لكنني دائماً أقابل بالسوء .

وهذا يعني أن الناس سيئون ... لأحد يعرف هذه الحقيقة كما أعرفها .

شرب عيسى عليه السلام — الذي لم يكن يشارك في هذا الحديث كثيراً — النبيذ من الكأس الفخاري الذي كان أمامه . قال ميكانيكي السيارات للطبيب الجراح :
— مادام الأمر كذلك فإنك ستدخل الجنة وحده !
قال الجراح :

— أجل .. وخوفي من هذا ياه .. سأتضايق في جنة واسعة وحدي .
وفي خاتمة الحديث عقد الميكانيكي والجراح رهاناً حول كون الانسان جيداً أو سيئاً .
فإذا صحت وجهة نظر الميكانيكي الذي يرى أن بين الناس من هو جيد ، يكون له أن يأخذ كل أموال الطبيب الجراح ، وإذا لم تصح تكون أمواله وأملاكه للجراح .
وخرج الثلاثة إلى مكان حراجي على طريق (أريحا — القدس) . وقف الجراح على الطريق وحده ، ليروا ماإذا كان عابرو الطريق سيقدمون له خيراً أم شراً . ولكي يريا ماسيحدث له صعد عيسى عليه السلام والميكانيكي الى قمة تلة واختبأ وراء شجرة زيتون .
صار كل منهما يدعو الله أن يحدث مايحقق قوله . فتح ميكانيكي السيارات يديه نحو السماء وأخذ يضرع :

— اللهم اجعل الناس يعملون خيراً مع هذا الجراح .
لأنه إذا تحقق رأيه سيكون مستشفى الجراح الخاص ، مزارعه ، عبيده ، أمائه ، وأهم من ذلك كله الخمسمئة ألف دولار المودعة في حسابه في البنك ، ملكاً له .

ودع الجراح ربه قائلاً :

— اللهم اجعل الناس يسيئون إليّ حتى أحصل على أموال وأملاك الميكانيكي كلها .
فإذا صح ماقاله الجراح سيأخذ دكاكين الميكانيكي ، بيوته ، عبيده ، وأهم من ذلك كله المئة ألف دولار التي له في البنك .

سُمِعَ وقع أقدام من بعيد . قال الجراح في سره :

— هاه .. إنه لايد .. قاطع طريق .

وقال الميكانيكي :

— لايد أنه إنسان فاضل .

ولاح رجل من منعطف الطريق . وإذ رأى الجراح استل سكينه الضخمة وهجم عليه
صائحاً :

— أخرج نقودك !..

ابتهج الجراح لما حدث وأخرج نقوده من جيبه وهو يضحك ويرقص . قال قاطع الطريق

مندهشاً من سرور الرجل الذي شلّحه :

— منذ أعوام كثيرة وأنا أعمل على التشليح ، لكنني لم أر من يتهج لتشليحه
مثلك .. وعندما انتهى قاطع الطريق من تنيش الجراح وأخذ كل نقوده ، وإذ كان يهم
بالذهاب ، ناداه الجراح :

— ياقاطع الطريق المحترم .. مازال في جيبي هذا مبلغ خمسة دولارات لم تروها ، تفضلوا
خذوها .

قال قاطع الطريق :

— لاريب في أنك رجل مكتمل الدّين وتريد إخراجي من عمليتي ، لكن هذا بالنسبة إليّ
لايعني شيئاً البتّة .
وأخذ النقود ومضى .

نادى الجراح الميكانيكي المختبىء وراء شجرة الزيتون فوق التلة :

— ها قد خسرت الرهان . أموالك وأملاكك كلها صارت لي . فصاح عيسى عليه
السلام بصوت رقيق لكنه قويّ من أعلى التلة :

— لاتستعجل الأمور ، وأيقن أن الناس جيّدون ، وانتظر ! فشرع الجراح ينتظر . سُمع
وقع أقدام أخرى . تفاعل كل من الجراح والميكانيكي . أحدهما يأمل بمرور انسان خيّر ، والآخر
بانسان شرير ، وراح كل منهما يتوسل إلى الله أن يكون القادم مناسباً لما ينشد .
قال الجراح :

— اللهم ربّي .. إذا أساء إليّ هذا الرجل فسأعمل خيراً ، سأوزع نسبة واحد من
أربعين من المال الذي سأخذه من الميكانيكي على الفقراء .
وقال الميكانيكي :

— إذا عمل القادم خيراً مع الجراح فسأوزع نسبة واحد من أربعين من أمواله التي
سأحصل عليها ، على الفقراء .

ظهر رجل في منعطف الطريق . وعندما وصل قريباً من الجراح استلّ سكينه الضخمة
وأسندها على صدر الجراح وصاح :

— أطلع النقود !!

فقال الجراح مبتهجاً :

— ما عندي نقود .. وإذا كنتم لاتصدقون نبشوا ، لكن يمكنكم أن تأخذوا ما معي من

أشياء ثمينة .

أخذ قاطع الطريق الخواتم التي كانت في أصابع الجراح وعلبة تبغ الفضية وقداحته وقلم حبره الناشف ذا الرأس الذهبي . ولما لم يبق شيء يأخذه فتح الجراح فمه وقال :
— عفواً .. انظر داخل فمي .. في الجانب الأيسر من فكي العلوي سن من ذهب ..

ألا ينفعكم في شيء ؟
طرح قاطع الطريق الجراح أرضاً وانتزع سنه الذهبي . كان الجراح يتلوى من شدة الألم ، ومع ذلك يضحك فرحاً .
— أنت مجنون ياترى ؟

ووضع ماأخذه من الجراح في جيبه ومضى . نادى الجراح المختبئين وراء شجرة الزيتون :
— ها واحد آخر يقدم على فعل الشر . أنا من ربح .. لقد أصبحت أموالك وأملاكك

كلها لي .

قال عيسى عيه السلام بصوت ناعم مؤثر :

— اصبر ، لا تقطع أملك .. انتظر !

سُمع وقع أقدام أخرى من بعيد . قال الجراح متفائلاً :

— ها انسان سيء آخر . من يدري أي فعل سوء سيرتكتب معي ؟ .. سأخذ أموال

الميكانيكي ! بينما كان الميكانيكي يتحدث نفسه :

— إنه انسان جيد .. من يدري أي معروف سيقدم للجراح .. سأخذ أمواله كلها

وأتركه مفلساً جائعاً عارياً !!

طلع رجل من المنعطف . وصل قريباً من الجراح وأسند سكينه على صدره :

— نقودك أو روحك ! أطلع النقود !

قال الجراح :

— قبلك شلختي قاطعا طريق محترمان ، لم يبق معي شيء . لكنني سأكون في غاية

السرور لو سلمت ماعلي . ثيابي وحذائي جديدة كلها .

شلح قاطع الطريق الجراح ، وإذ كان بهم بالانصراف ناداه الجراح :

— ياقاطع الطريق المحترم . بقي علي سروالي .. ألا تريدون سروالي ؟ إنه جديد تماماً ،

إنني أرتديه للمرة الأولى .

— إنك على ما يبدو لي رجل مكتمل الدين .. لكن ذلك لا يهمني .. اشلح سروالك .

أخذ سرواله وتركه عارياً كما ولدته أمه . كاد الجراح يطير من الفرح . نادى الميكانيكي :

— هيه ! إنك ترى .. هذا الآخر أساء إليَّ .. أموالك وأملاكك أصبحت لي .

قال عيسى عليه السلام بصوته الناعم الحلو القوي :

— أي يارجل ! اصبر ولا تستعجل الأمور . لا بد من وجود انسان جيد على وجه الأرض . وشرع الجراح ينتظر . سمع وقع أقدام ولاح رجل من المنعطف . قال الجراح مخاطباً نفسه :

— لم يبق عندي مايسليه قاطع طريق . فليكن هذا مجرمًا إن شاء الله ، فيحاول إزهاق روحي لآخذ أموال الميكانيكي ..

وقال الميكانيكي :

— لا بد أن يطلع هذا فاعل خير ، فيعطي الجراح قطعة قماش يستتره بها .

كان القادم — كما بدا من تمايل قامته — محموراً ، ويديه عصا . عندما صار على مقربة من الجراح انهل على رأسه ضرباً بالعصا . والجراح يتلقى الضربات ويتوسل إليه قائلاً :

— تضرّبون على الجانب الأيسر ، إذن واحدة أخرى على كفي الأيسر ياأخي .

وراح الرجل السكران يضربه على جانبه الأيسر ، فيدير له جانبه الأيمن ، ثم ، ومن شدة الضرب ، سقط الجراح على الأرض وهو يئن من الألم :

— أيها الشرير المحترم ، لطفاً ، اضربوني على رأسي .. وإذا كان الأمر لايضايكم انزلوا على ظهري عَصَونين أو ثلاثاً .

قال السكران :

— تبدو لي رجلاً مكتمل الدين .. لكن هذا لايوثر عليّ بتاتاً .. هاأنذا ألبى رغبتك . وبكل ماأوتي من قوة نزل بالعصا على رأس الجراح .. ثم مضى متهايلاً .

— وقع الجراح في دمه ، وصاح بالميكانيكي وهو يئن :

— أموالك وأملاكك صارت لي كلها .

فظهر عيسى عليه السلام وقال بصوته القوي الذي يسحر القلب :

— أي يارجل ! اصبر ولا تستعجل . لا بد من وجود انسان طيب القلب على وجه

الأرض .

وسمع وقع أقدام . قال الجراح المنطح على الأرض يئن :

— هذا مجرم إن شاء الله ، ويريد قتلي .

وقال الميكانيكي :

— هذا سيساعد الجراح إن شاء الله .

ظهر رجل في المعطف . قفص بجوار الجراح المنبطح على الأرض يئن ، وقال له :

— مابك يا أخي ؟ هل إن جروحك تؤلك ؟

فقال الجراح وقد فهم أن هذا الرجل يريد مساعدته ، محاولاً ألا يسمع عيسى عليه السلام

صوته :

— انقلع !

أخرج الرجل من جيبه نبيذاً وزيت زيتون يريد تنظيف جروح الجراح الذي كان الدم يسحُ من أنفه وفمه .

— اغرب عن وجهي .. أنا لم أطلب مساعدتك .

قال الرجل :

— كيف لأساعدك وأنت تتألم ؟

— إذا أردت مساعدتي فانقلع من هنا فوراً .. حتى إنك إذا رفستني على مؤخرتي قبل أن

تنقلع تكون قد قدمت إليّ مساعدة حقيقية .

— النجدة وعمل المعروف ذنُّنٌ على الانسان ، فلا تمنعني من تقديم المساعدة لك

يا أخي .

أصرَّ الرجل على مساعدة الجراح وتنظيف جروحه وربطها ثم حَمَلَهُ على ظهره إلى المدينة .

— معروف ما معروف لأرِيد .. أغرب عن وجهي واه .

أيقن الجراح أنه لن يستطيع إبعاد الرجل الطيب عنه ، فراح يشتمه ، لكن الرجل باشر

بتنظيف جرحه بالنبيذ وزيت الزيتون ، دون أن يفضب ، ثم خلع قميصه ومزقه ولف جروحه .

تناول الجراح — الذي تأكد من أنه ، بمساعدة هذا الرجل ، سيخسر أمواله وأملاكه

كلها — تناول حجراً من على الأرض ، واستجمع قواه ونهض على قدميه ، وأنزل الحجر على

رأس الانسان الطيب وطرحه أرضاً ، ووقع فوقه .

نزّل عيسى عليه السلام والميكانيكي من أعلى التلة الى جانبيهما . قال الجراح للرجل الذي

نحته :

— نزلت على كالبلاء ، امض بسرعة كيلا أقتلك .

قال الرجل المضروب على رأسه بالحجر :

— لأستطيع الذهاب وترتكك في هذا الحال .

فهوى الجراح بالحجر على رأسه بقوة أكبر ، فأرداه قتيلاً . ثم وقف على قدميه مذهولاً ،

- ومدّ يديه الملطختين صوب عيسى عليه السلام ، وقال :
- لقد رحت الرهان كما ترون .. لا يوجد انسان جيد .. قال الميكانيكي :
- وكيف عرفت ذلك ؟
- فصاح الجراح :
- عرفت ذلك من نفسي .. عرفت ذلك من نفسي ..
- وهوى على الأرض .
- وقع الميكانيكي من خوفه على أملاكه وأمواله ، وقع فوق الجراح يريد قتله .
- قال عيسى عليه السلام :
- احمله على ظهرك إلى المدينة ، وعندما تصل ، سلمه للجندرمه .

والمنازق والراجل في السلطان

ناقلو الآثار ومحدثو العصور ورواة الأخبار .. يروون عن ذلك اليوم رواية ، ويحكون من هذا الطراز حكاية .. كان يا ما كان ، في قديم الزمان ، دولة ؛ مياها غزيرة ، وطرقها كثيرة ، أهلها نبلاء ، وتربتها معطاء ، وكتابها عظام . كان سكان تلك الدولة يقولون : «القيطان منقذ سفيتة ، فاليس أنت الخيش ، لأليس أنا القماش المنقذ» . لا يعملون ولا يفكرون إلا لأنفسهم وبأنفسهم . كل شاة برجلها تناطح ، وكل حمار من حافره يُحدى .

عندما يشبع امرؤ للخازوق خرين مثله فيقول : «لماذا تلزم الفطائر والبقالوة إذن» .
وفي يوم من الأيام خرج رجل وأخذ بصيحه .. صيحه في الأرض وصيحه في السماء :
— آخ خ خ خخ ! .. أنا بعرضكم ، إن خازوقاً يدخل في .. يدخل في خازو و و و
و و .. ق !

في البدء لم يلتفت إليه أحد ، ولم يعره أحد انتباهاً . قال واحد :
— أنا مالي ومال الخازوق الداخل في هذا الرجل .. ألف شكر لله على أنه لم يدخل في خازوق ولا مازوق !

لكن صياح الرجل (إني أنتخزوق) ازداد إلى حد أنه يقلق سكان تلك الدولة كلهم . قبض الشرطة والحرس القائمون على أمن المدينة ونظامها على الرجل الذي كان يصرخ باستمرار ، فحوصوه جيداً ، فلم يعثروا على أي خازوق فيه . قالوا :
— هذا الرجل كذاب . إنه يصرخ ويصيح لكي يقلق الناس . وأبعدوا الرجل عن المدينة

وسلوا عليه إحدى المغارات .

.. راح يوم جاء يوم ، طلع رئيس دورية الحرس التي قبضت على الرجل الذي كان يصريح
(إني أتخوزق) وصاح :

— إني أتخوزاااااااااااااااااااا ق !

الأرض ارتجت من صراخه . قبض عليه الحرس والشرطة واقتادوه إلى القاضي . فحصد
القاضي جيداً

— لا يوجد لآخازوق ولامازوق . لو أن خازوقاً يدخل فيه لكننا رأيناه . إنكم تعكرون
صفو المدينة دون مسوغ .

قال القاضي قوله هذا ، وأصدر حكمه عليه . جنزره من رجله ورماه في الزنزانة .
مرت أيام .. شهر .. خرج القاضي الى الزقاق مطيراً أطراف جيبه ، قاذفاً لفته وقبعته ،
صارخاً :

— دخيلكووروم .. إني أتخوزق ! ..

كان صراخ القاضي عالياً باعتبار منزلته عالية ، حتى إن السلطان سمعه .. دهش
السلطان مما يجري وقال :

— ماهذا ؟ حتى القاضي يدخل فيه خازوق ؟ انظروا جيداً لنرى ماذا كان يوجد في
القاضي خازوق حقاً !

ذهب اليه رئيس الأطباء .. قلب القاضي وثناه وبرمه وعان كل عضو من أعضائه ، لم ير
ي خازوق فيه .. وإذًاك قدم تقريراً يقول فيه : « لم يدخل في القاضي أي خازوق ، لكنه يتوهم
أن خازوقاً يدخل فيه ليقلقنا ، ويقم البلاد ويقعدنا .. هذا لأن في عقله مرضاً .. فليُدخل
مشفى الأمراض العقلية ! » .

أدخلوا القاضي مشفى الأمراض العقلية .

بعد مدة انتفض رئيس الأطباء ، الذي لم ير الخازوق الذي دخل في القاضي ، من فراشه
الدائي عند الفجر وخرج الى الزقاق زاعقاً :

— آخ .. دخيلكم .. الآن يدخل خازوق في !

الذين رأوا رئيس الأطباء على هذه الحال انطوا وراحوا يدقون بأيديهم على ركبهم ،
ويقهقهون ، ويقولون له هازئين :

— واخ ! .. هل جن رئيس الأطباء أيضاً ؟ رئيس الأطباء هذا القد قدّه ويتوهم أن خازوقاً

يدخله ؟

وصاروا يخرجون من كل صوب ويدقون له (بالتنكات) ويصيحون (و و و ووو ...) ، في حين رئيس الأطباء يصرخ :

— يامواطني ! أليس بينكم من يفهم بهذه الشغلة ؟ إن مايدخل فيّ ليس شوكة ، إنه خازوق .. وأنا لست مسروراً من هذا .. إني أموت ! ..
غضب السلطان وقال :

— لقد زادها هؤلاء .. يزعمون أن خازوقاً يدخل فيهم ، ولا أحد يرى الخازوق . ليأت العلماء ويشاهدوا الأمر . عند هؤلاء برهان العلم ، فإذا نحن لم نستطع رؤيته ، هم يرونه . جاؤوا بثلاثة أساتذة من أكبر المدارس واختاروهم كعلماء . فحصوا رئيس الأطباء من فرقه إلى قدمه ، قطعة قطعة .. لم يجدوا أي خازوق داخل فيه .
— لا يوجد خازوق داخل ولاخارج . رئيس أطباء له هذه القيمة ويحاول تضليلنا ؟ يلخبط الناس هكذا ؟

كبلوا رئيس الأطباء من يديه ورجليه ونفوه الى مكان بعيد .. ولم يمض إلا زمن قليل حتى باشر الأساتذة الثلاثة بالصراخ :

— آه ، دخيلكم ، ياإخوتي بالله .. إني أتخوزق !

فحص شيخ الاسلام ورئيس الديوان ورئيس الوزراء العلماء الثلاثة ، ثم قالوا :

— يصرخون دون مسوغ .. لايدخل فيهم لاخازوق ولا مازوق .

في حين كان الأساتذة الثلاثة مستمرين بالصراخ :

— أليس بين العباد من يرى ، ياإخوة الدين ؟ ها هو الخازوق .. يدخل !

رموهم في الزنزانة .

.. راح ذلك اليوم ، جاء غيره ، باشر شيخ الاسلام ورئيس الديوان ورئيس الوزراء

والوزراء يصرخون صراخاً لايمكن وصفه :

— آخخخخ .. رحامكم .. أي خازوق هذا الخازوق الذي يدخل فينا الآن ؟

— لا يوجد خازوق .. لو كان .. لكننا شاهدناه .. إنكم تكذبون .

تعال انظر ! سكان تلك الدولة ، مع مرور الزمن ، من ابن السابعة حتى ابن السبعين ،

شباباً وشباباً ، صاروا يصرخون :

— إننا نتخوزق ! ..

— ليفحص الذين لم تدخلهم الخوازيق أولئك الذين يقولون إنهم يتخوزقون حتى نرى

مإذا كان ادعاؤهم صحيحاً !

فحص الذين لم تدخلهم الخوازيق أولئك الذين قالوا بوجود خوازيق تدخلهم ، فحوصهم على نحو دقيق ، لم يجدوا فيهم خوازيق . هتفوا :

— يعيش السلطان ! .. برعايتكم لم نر أي خازوق مازوق ! هؤلاء يخربون ويفسدون .
وهكذا ، بعد مرور زمن آخر انطلق الجميع يصرخون قائلين إن خوازيق تدخل فيهم .
قال السلطان :

— ليفحص كل الآخر وير هل حقاً يدخل فيه خازوق ؟
فحص كل الآخر ، لكن أحداً لم ير الخازوق الداخل في الآخر ، فقال كل للآخر :
— أنت كذاب ! أنت ما فيك خازوق . الخازوق يدخل في وحدي ، ولأنك تصرخ
دون سبب لم يعد صراخي يسمع .

... وقع الجميع ببعضهم .
راح وقت جاء وقت . لم يعد أحد يصرخ (إني أتخزوق) .. لقد اعتادوا الخازوق ..
لاصوت على الاطلاق .. ماحدث لهم حدث لسابقيهم الذين صرخوا في البدء .
وفي منتصف إحدى الليالي خرج صوت من القصر . زلزل الصوت كل شيء فقفر
الجميع من فرسهم . رمى السلطان نفسه وهو بالقميص والسروال الداخيلين الى الزقاق ، وباشر
يصرخ دون توقف :

— رحاماً .. يارعاياي الأحيه .. الحقوروني .. الخازوق يدخل في أيضاً .
قال سكان تلك الدولة :

— هذا سلطان ، والسلطان لا يكذب .. دخول الخازوق فيه أمر مؤكد ، وإن صياحه
على نحو أعلى من صياحنا دليل قاطع على أن حجم الخازوق الذي يدخل في الشخص يتناسب
مع مقامه . لا ريب في أن الخازوق الداخل في السلطان خازوق سلطاني .

السماء والأرض تتنان ، والسلطان يتوسل :

— لماذا أنتم واقفون ؟ تعالوا أخرجوا الخازوق مني .

قال الذين كانوا حوله :

— ياسلطاننا ! كيف لنا أن نخرجه ؟ هذا الخازوق لا يشبه الخوازيق الأخرى .. إنه لا يرى
بالعين ، ولا يمسك باليد ، ولا يشعر بألمه غير من يكابده . كز على أسنانك ، وبعد مدة من
الزمن تعتاد الخازوق مثلنا ، وترتاح ! ..

الملوك والنبي والنخبة العرب

كان ياما كان ، في سالف العصر والأوان ، في احدى الدول .. رجل مسكين ، جائع ، عار ، محروم حتى من قوت يومه .. لكنه لم يكن فاسد القلب . كان كل مايغيه هو أن يعمل الخير للآخرين . من جهة عمل الخير كان يريد أن يعمل خيراً ، لكنه لم يكن يعرف كيف يعمل .
كان يقول :

— آه آه .. لو كان عندي مايساعدني على تقديم الخير للناس !!

فيسأله سامع هذا الكلام :

— كيف ستعمل الخير ؟

فيقول :

— سأعمله .. سأعمل خيراً للإنسان ، لكن ، لتأت تلك الأيام، وقتها أنا أعرف كيف

سأعمل الخير .

وفي يوم من الأيام كان واقفاً على رأس جبل ويقول بصوت خفيض : «لو أن ربي يساعدني

على عمل الخير» .. وإذا بعابر يأتي من خلفه ويقول له :

— مرحباً يا بني ..

التفت محب فعمل الخير إلى الوراء فرأى رجلاً بلحية بيضاء واصلة إلى زناره . قال :

— مرحباً يا أبيت ..

— ماهذا الذي تحدث نفسك به ؟ أتريد من الله شيئاً ؟

شرح الرجل ، بقدر مستطاعه ، كيف أن همه الوحيد يكمن في تحرقه لعمل الخير .
— حتى الآن ظهر الكثير من الناس الذين أرادوا عمل الخير للإنسان .. لو كنت تعرف
كيف تعمل الخير ماأصررت على عمله كل هذا الاصرار . عمل الخير للإنسان أصعب بكثير
من عمل الشر ، الذين نجحوا في عمل الخير قلائل للغاية .
هذا ماأسداه إليه الرجل ، لكنه لم يقتنع به .
— آه ، أنا لأشابه الآخرين .. سأحعو كل الشرور من الدنيا .. لن يبقى جائع أو
عطشان ، لن يبقى عارٍ ، ولن يبقى صراع أواقتيال .. سأضع كل شيء في مكانه .

قال ذواللحية البيضاء :

— لكنك تطلب الكثير . أنت لاتعرف ماينبغي فعله .. لقد وُجد الكثيرون قبلك أرادوا

عمل ماتنوي عمله ، وزالوا ، كانوا لا يعرفون كيف ..

قال الرجل :

— وهل ثمة ماهو أسهل من عمل الخير ؟

قال ذو اللحية البيضاء :

— ايه مادمت تصر على فعل الخير كل هذا الاصرار فلا تقف هنا . تجول ولا تتوقف ،

فيأتي زمان تصل فيه المكان الذي تبغيه .

تلقي الرجل الذي يحب عمل الخير كلمات الرجل ذي اللحية البيضاء ، ومضى .
تجول الرجل أعواماً طويلة .. لم يترك مكاناً إلا وزاره .. وكان يحكي للناس كيف انه

يتحرق لعمل الخير لهم .

وذات مرة ، وكان قد مشى نهاراً بتامه وليلاً بتامه ، وكانت نهاية السماء ترسل أشعتها ،
لاحت له مدينة . المدينة محاطة من جهاتها بأسوار كأسوار القلعة . وصل الباب الذي يؤدي
إلى المدينة ، ولجها ، وعندما دخل ساحة المدينة دُهبش .. وكيف لا يدهبش ؟ كانت ساحة
المدينة مكتظة بالناس .. أنا أقول كان فيها مئة ألف شخص ، أنت قل ثلاثمائة ألف شخص ..
جمهرة من الناس لاثرى نهايتها . غاص في الزحام . كان كل شخص يصدر صوتاً . أعطى أذنه
للغفهم ، كانوا يقولون :

— أيها المواطنون ! أنا أريد الخير لكم ، قولوا للغريان أن يجعلوني ملكاً . لتجعلني الغريان
ملكاً ، وعندها سترون . سأقدم لكم الخير . سأجعل من أنهار هذه المدينة شرباً . سأجعل
الحجر والرصيف ذهباً . سأنزل المطر من السماء . ستكون لكم يد في السمن ويّد في العسل .
سأجعلكم تمقنون أكل الفطائر باللحم ، والبقلاوة . ستتراحون حتى تكروهوا الراحة . أيها الأخوة

المواطنون : قولوا للغريان أن تجعلني ملكاً .

دهش الرجل اذ سمع هذا الكلام ينطلق من كل الخناجر . تلفت حواله . أليس هذا الشيخ ذا اللحية البيضاء الواصلة إلى زناره الذي التقاه قبل أعوام على رأس الجبل ؟
— مرحباً يَا بَت .

قال الملتحي :

— مرحباً يَا بَنِي .

— إني أسمع الناس جميعهم في هذه المدينة يقولون شيئاً واحداً ، وطالما أن الأمر كذلك لماذا يصرخون ؟

قال ذو اللحية البيضاء :

— لأن كل واحد منهم يعتقد أنه الوحيد الذي يستطيع عمل الخير ، لكنه لا يعرف كيف يعمله .

— وهل الناس يصرخون هنا على هذا النحو دائماً ؟

— لا . إنهم يصرخون في موعد الانتخابات فقط . كل عام تُجرى انتخابات . وعندما يحل موعد الانتخابات تجدد كل واحد يريد أن يُنتخب .

— لماذا ؟

— لأن كل واحد يعتقد أنه يستطيع فعل الخير . الكل يريد عمل الخير ، وليس ثمة من يحب عمل الشر أبداً .

— ومن يُنتخب ؟

— الملك . هذه الدولة لاتشبه الدول الأخرى . إنها لاتورثُ العهد من الأب إلى الابن كما هو عليه الحال في الدول الأخرى . في كل عام يُنتخب ملكٌ جديد من بين الشعب . إذا عمل الملك الخير الذي وعد به الشعب فانه يبقى ملكاً ، وإذا حث لا يُنتخب لسنة تالية . لم يسبق أن استمر ملك في الحكم لأكثر من سنة واحدة .

— طيب لماذا يصيحون : غراب .. غراب ؟

— الغريان هي التي تنتخب الملك في هذه الدولة ، لذلك تراهم يصرخون على هذا النحو .

وفجأة غامت السماء إذ غطتها سحابة من الغريان حجبت الشمس وراءها . حلقت الغريان فوق رؤوس البشر وأخذت تصيح (غاق .. غاق) ، وأخذ الناس يتوسلون الى الغريان صائحين :

— أخي الغراب ، انتخبني أرجوك .. أخي الغراب .
وإذ كانت الغربان تسعى وتزعق ، نزل منها باتجاه الأرض غراب كبير ، وأخذ يدور حول
الرجل الذي كان يلف الخقل والجبل من أجل عمل الخير . دار الغراب ، دار ، وأخيراً زَرَقَ
على رأس الرجل ، وصاح غاق ، ثم علا نحو السماء .
قالوا للرجل :

— لقد صرت ثلث ملك .. صرت ثلث ملك !!
دهش الرجل مما حدث له فسأل ذا اللحية البيضاء الذي كان بجانبه :
— ما هذا الذي يحصل ؟

قال ذو اللحية البيضاء :
— هكذا ينتخب الملك في كل عام . إذا زَرَقَ غراب على رأس رجل ما ، ثلاث
مرات ، يصبح هذا الرجل ملكاً .. وهذا يعني أنك قد صرت الآن ثلث ملك . ادع الله أن
يتفوط الغراب على رأسك مرة أخرى .
وقبل أن ينتهي الرجل كلامه نزل الغراب وبدأ بالدوران حول رأس الرجل ، ثم عملها مرة
ثانية .

صاح الذين ملأوا الساحة :
— صرت ثلثي ملك .. صرت ثلثي ملك ..
ولكيلا يعملها الغراب مرة ثالثة على رأس هذا الرجل اشترأب الجميع برؤوسهم بدأوا
يصيحون بالغراب مستغيثين :
— هنا ، أخي الغراب .. هنا .. أخي الغراب .
لم يكثرث الغراب لصياحهم ، واختار ، للمرة الثالثة ، رأس الرجل . قال الناس
للرجل :

— أصبحت ملكاً .
وحملوه على أكتافهم حتى القصر .
لما أصبح الرجل ملكاً لم ينس الجميل الذي قدمته له الغربان إذ جعلته ملكاً ، فأصدر
فرماناً يقضي بإزالة الفراغات التي في الحقول والبساتين ، وبمحاكمة وإنزال العقاب بكل من
يضرب الغربان بحجر ، أو يكشها . ولم يقف عند هذا الحد فأصدر قراراً يقضي بأن يقدم كل
بيت حفنة طعام للغربان يومياً .

بدأ الناس يتذمرون لكن دون أن تخرج أصواتهم .. فعيون الملك لاترى سوى الغريبان .
وهكذا مضى العام الأول ، وحلت الانتخابات .

اجتمع سكان الدولة في الساحة مرة أخرى ، وأخذ كل واحد يتوسل للغربان لنتخبه .
الجميع يقولون إنهم سيعملون الخير للانسان . ومرة أخرى غامت السماء بملأها صوت
النعيب : غاق غاق ..

كان ينتخب الملك غراب واحد ، لكنها ، ولكي تقدم الشكر للملك على الجمال التي
قدمها لها ، فقد نزل منها عشر غريبان معاً ، زرقت كلها ، ثلاث مرات على رأس الملك
السابق . ولم ينس الملك صنيع الغريبان عندما أصبح ملكاً من جديد ، فأمر بأن يطعم كل بيت
عشرين غراباً ، وأمر ببناء مآوى للغريبان تحميها من البرد والريح . ومن فرط تغذيتها أخذت تنمو
وتسمن حتى صار الغراب الواحد بقدر ديك الحيش .

وحل موعد الانتخابات مرة أخرى . كان الشعب قد بدأ يتذمر من ذلك الميك ويكرهه .
لكن ما الفائدة ؟ فقد نزل مئة غراب كل غراب بحجم ديك الحيش واختارت رأسه
وزرقت عليه ، ثلاث مرات .

أصدر الملك الذي صار ملكاً للمرة الثالثة قراراً يقول :

— يجب أن لاتبقى على الغريبان قملة واحدة . يجب أن تغلوا الغريبان وتنظفوها .. وتلمعوا
أرجلها وتنظفوا أستهاها .

صارت الغريبان من فرط العناية وحسن التغذية بحجم الخراف ، وصارت تنمو وتكاثرت
يوماً بعد يوم .. حتى جاء يوم لم تعد المدينة تسع فيه للغريبان التي نمت وتكاثرت .
ومرة أخرى تحل الانتخابات . ولكي تشكر الغريبان الملك أكثر جاء منها خمسمئة غراب
اختارت الملك نفسه وتبرزت عليه جميعها ثلاث مرات .

استمر الملك يأمر بالعناية بالغريبان حتى أخذ الناس الذين لم يبق لهم مكان في المدينة ،
يهاجرون تاركين بيوتهم وأوطانهم للغريبان ، متجهين إلى السهول والجبال .

وحلت انتخابات أخرى فظهرت في السماء غريبان بحجم العجول .. نعيقها يصم
الآذان ، تقدم الشكر للملك .. ثم نزلت جميعها ، دفعة واحدة ، لتضع على رأسه (شكرها) .
اقرب الناس من الرجل الذي انتخب من جديد ليحملوه إلى القصر ، فوجدوا تلة من
زرق الغريبان ، ووجدوا الملك مطموراً تحت هذه التلة !

.. ومازال الناس يصيحون :

— أخي الغراب . انتخبني .. أخي الغراب .

قصة صينية

كونغ — صو بلدة صيادي أسماك تقع إلى الجنوب من بحر الصين . غالبية سكان هذه البلدة الوداعة تعيش من صيد السمك .

في صباح أحد الأيام بدأت قطة - غير معروف من أين ولا كيف أتت — تموء في مقهى بونغ — شيانغ لصيادي الأسماك . التقط العجوز بونغ القطة الصغيرة النحيلة بين كفيه الضخمتين . نظر في عيني القطة الصغيرة المخططة المرقنتين . قال لها :

— الله أرسلك إليّ !

ثم قال لصبي المقهى :

— اسم هذه القطة الصغيرة (شونغ — بان) .. اعتن بها جيداً .

كبرت شونغ — بان ، واكتملت خلال أيام .

لم تصبح شونغ — بان محبوبة بونغ وحده ، ولكن محبوبة زبائن المقهى كلهم .

كانت لشونغ — بان عادة سيئة ، ألا وهي السرقة في كل الأحوال : كل قطة لصة ، لكن كشونغ — بان لم يُر . لم تبلغ الشهر السادس من عمرها حتى باشر الجيران كلهم يشتكون منها . كانت تخرج إلى عملها كل صباح قبل أن يرمي النهار بثقله ، مثلها مثل أي موظف شريف ، ولأياتي الظهر إلا وتكون قد زرعت الفوضى في أرجاء الحارة . لم تترك مطبخاً لم تدخله ، أو نملية لم تلخبطها ، ولم يمر يوم دون أن تفتح غطاء قدر يغلي على الموقد لتأخذ منه

صادفت القصص المجموعة في هذا الكتاب مرحلة عجيبة بالنسبة لتاريخ الحرية في تركيا . لقد نشرت هذه القصص بين الأعوام ١٩٥٥ — ١٩٥٧ في مجلة آك بابا وصحيفة ديمقراط أزمير باسم مستعار . أحداث القصة الصينية هذه كانت تدور ، في أول كتابة لها ، في تركيا ، لكنني ، بعد أن رفضت معظم الصحف والمجلات ، نشرتها باسم مستعار لكاتب صيني ، على أنها قصة مترجمة . وبعد شهور نشرت القصة ذاتها في إحدى المجلات على أنها قصة مترجمة لكاتب صيني . ع . ن .

قطعة سمك ساخنة جداً .

بالرغم من أذية شونغ كان الجميع يحبونها .

كانت تقوم بسرقات محبوبة ، وكان المتضررون منها يعتبرون ذلك نوعاً من (مقابل

شونغ) .

في أحد الأيام جاء زيون إلى مقهى العم بونغ . وضع الكيس المحشو بالسمك الذي كان يحمله بيده على الرف . اندمج في لعب الورق ، وإذا أراد مغادرة المقهى بعد فترة ، مد يده إلى الكيس الذي على الرف وفتح قمه بعرض شبر . لقد وجد الكيس محشواً بالهواء بدل السمك دون أن يُفَضَّ أيُّ من أطرافه ؛ كان في أسفله ثقب صغير وحسب . وقد دهش الجميع من تمكن شونغ من إفراغ كيس السمك سمكةً سمكةً دون أن ينتبه إليها أحد في زحمة الزبائن .

كان ثمة سبب مهم لتقدير مهارة شونغ بالسرقة . لم يكن يقام أي اعتبار للانسان الذي لايسرق في بلدة كونغ — صو تلك . السرقة بذاتها ليست أمراً معيباً ، المعيب هو أن يُضبط المرء أثناء قيامه بالسرقة ، إذ ذاك يتبدل اللص أمام أهل البلدة ولايعود يستطيع أن يوقع نفسه تحت أنظارهم ، لكونه لم ينجح في عمله . لقد وصلوا إلى حد أن لايزوجوا بناتهم للشباب الذي لايسرق باعتبار أنه لايستطيع الإنفاق على بيته .

أمست شونغ رمز بلدة كونغ — صو ، ومع مرور السنين تحولت إلى كائن اسطوري .

عندما بلغت شونغ الرابعة عشرة نزلت ستارة على عينيها ، المسكينة ، فتابعت ممارسة مهنتها بعينين لانبصران .

كانت تتسلل كما الانسان إلى المطبخ بعد أن تفتح مزلاج الباب ، وفي اللحظة التي تلتفت فيها المرأة الجالسة أمام النار إلى الورا ، تكون قد سرقت سمكة من المشواة وهربت .

النساء الثائرات اللواتي لايجضرن طعام العشاء لأزواجهن صرن يتدرعن بشونغ اللصة

قائلات :

— ماذا أعمل ؟ لقد سرقت شونغ السمك من على النار !

وفي يوم من الأيام وجدوا جثة (شونغ — بان) في أسفل أحد الجدران العالية . لقد سلمت شونغ روحها وهي على رأس عملها . بكى عليها سكان (كونغ — صو) وأعلنوا الحداد . أقيمت لشونغ مراسم جنازية ضخمة . اجتمع على قبرها الأطفال والشبان والشيوخ .

ران الصمت على البلدة بعد شونغ .. لكن ، بعد مرور شهرين ، حصلت معجزة

ارتفع بناء ضخم فوق قبر المسكينة شونغ : مصلحة الضرائب .

صار سكان كونغ — صو يشيرون إلى البناء ويقول أحدهم للآخر :

— ها قد بعثت روح شونغ !

الجوهرة التي لا يراها اللبيب

كان .. إذا واحد كان ، ألف ماكان ، في معاصر الزمان ، عندما كل شيء كان ، وسط الدخان ، والقمر الصناعي ، فر .. فر ، في حالة دوران ، وأنا رام حمّالتي ، وبالنوم غرقان .. كان ، في إحدى الدول التي على وجه هذه الأرض ، خزينة ، الخزينة مملوءة بالنقود ، وبأشياء أثرية لاتقدر بثمن ، بعضها مكّس فوق بعض : نعال خيول كانت قد استباحت سبعة أقاليم ، سياط شراشيبها مشغلة بخيوط الذهب ، سيوف ذلك الطول طولها ، خناجر مرصعة ، تروس مزركشة .. السياط مزركشة ومشغلة إلى حد أن رأيها لايعرف ماإذا كانت مصنوعة من أجل جلد أكتال الحيوانات ، أم من أجل دغدغة أورك السبايا الجميلات . السيوف طويلة طويلاً ، كبيرة كبراً ، ضخمة ضخامة ، تبدو لك وكأن في مواجهة المحاربين الذين كانوا يحملون هذه السيوف الضخمة إلى هذا الحد ، أفيلاً أو جمالاً ، لأقل .

هذه كلها أشياء نفيسة ، نقود العالم غير كافية لشرائها ، ولا أحد يقدرها ، في أي وقت من الأوقات ، حق قدرها . إلا أن المعروف أن هذه الأشياء نفيسة جداً لكونها مخبأة على نحو جيد يحرصها الجنود ليلاً نهاراً ، وليس ثمة من يعرف أن قيمتها كبيرة بغير ذلك ، لأن هذه الأشياء لو أخرجت من الخزينة وألقيت على قارة الطريق لما التفت أحد ونظر إليها . قيمة هذه الأشياء لاتعرف إلا وهي في الخزينة .

خزائن الدول الأخرى ليست غنية إلى هذا الحدّ ، لكن فيها جوهرة لا يوجد مثلها في هذه

الخزينة .

سكان هذه الدولة يفكرون دائماً على هذا النحو : «ماذا نعمل كي نحصل على جوهرة مثلها؟» .. لأنه لو كان عندهم جوهرة من هذه الجواهر لكانوا امتلكوا أغنى خزينة على وجه الأرض . غير أن إيجاد ، صنع ، الحصول على ، الجوهرة أمر صعب للغاية .. لأن هذه الجوهرة تصنع من مئات ، بل من ألوف البشر .. وكلما كانت مصنوعة من عدد أكبر من البشر ، كلما كانت قيمتها أكبر .. أضخم جوهرة في خزائن الدول الأخرى تطلع بحجم بيضة ، في حين هؤلاء راضون ، منذ زمن بعيد ، بجوهرة بحجم جوزة ، أو حتى بندقة . إن معدن هذه الجوهرة هو الحديد ، لكن ليس الحديد الذي يُستخرج من باطن الأرض الذي نعرفه ، حديد هذه الجوهرة هو عنصر الحديد الموجود في دم الانسان ... وبالنظر إلى أن دم الانسان لايجوي إلا أقل من ميلليغرام واحد منه ، فإن صنع جوهرة بحجم بندقة يتطلب أن يضحى الألوف من البشر بدمائهم ويموتوا من أجل هذه الغاية . إن للجوهرة المصنوعة من دم الانسان لمعاناً لا تختمله العين الناظرة إليه من فرط توجهه ... لمعان الذهب يجبو بجانبها ، حتى إنها تتلامع أكثر من الشمس .. هذا اللمعان يصدره الفوسفور الموجود أصلاً في عيني الانسان وفي دماغه ، بحيث يُطلى الحديد المستخرج من دم الانسان ، بالفوسفور المستخرج من عيون الانسان ومن دماغه ، وبهذا تلمع فوق حديد الدم ، ملايين العيون . من أجل هذه الجوهرة يجب أن يقدم الألوف من البشر دماهم ، أعينهم ، أدمغتهم . غير أن العمل لا ينتهي عند هذا الحد ، ذلك أن شعلة ألق المنغنيز ، المستخلصة من روح الانسان ، تشارك حديد الدم وفوسفور العين والدماغ في اللمعان ، وكذا ذرات الكربون .. وتزيدا توهجاً بلورات الصوديوم والبوتاسيوم والكالسيوم المتضمنة في كلوروفيل لون البشرة . إن الكلس الذي يستخرج من عظام ألوف الناس يكفي لصنع جوهرة لاتفوق في حجمها حجم بندقة ، وغير هذا ، إن جوهرة كهذه لا تصنع بسرعة كهذه ، إذ لا يكفي يوم ، أسبوع ، شهر ، سنة .. يلزمنا قرون من الزمن حتى نحصل على جوهرة بحجم بندقة .

حزن ملك تلك الدولة التي تمتلك أغنى خزينة في العالم وأعوانها ، حزنوا كثيراً بالرغم من وجود نعال الخيول ، السياط المرصعة ، الأرسان المشغلة ، السيوف ، النقود .. كثير من الناس أسالوا دماهم وبذلوا أرواحهم من أجل الحصول على الجوهرة . لكن هذا ، ولكونه حصل في أوقات وأمكنته متباينة ، راح هدراً هنا وهناك ، وذرات حديد دماهم وفوسفور أدمغتهم وكلس عظامهم ، ضاعت ، ولم يستطيعوا ، بأي شكل من الأشكال ، للمتها ليصنعوا منها جوهرة . أصرَّ الملك وأعوانه على إيجاد جوهرة من تلك الجواهر في الخزينة ، ومن أجل ذلك ضحوا

بالآلاف من العجول والطيوس والحمير كي يصنعوا من دماثها وأدمغتها جوهرة ، لكنهم فشلوا ؛ وما حصلوا عليه لم يكن جوهرة بل قيقاً بشعاً كأنه تراب أسود .

فكروا فيما سيفعلونه ، فكروا كثيراً ، ثم قرروا أن يطلبوا واحدة صغيرة من الدول التي تمتلك الكثير من هذه الجواهر . أجاهم القائد الأول في إحدى الدول .. رأساً :

— إن تعطوني كل مافي خزنتكم أعطيكم جوهرة صغيرة !..

جلسوا متقابلين ، تباحثوا . أبرموا معهم اتفاقية تجارية ، ثم اتفاقية سياسية . دخل رجال الدولة التي ستقدم الجوهرة إلى الخزينة الغنية وأخذوا مازق لهم من السيوف ، التروس ، السياط ، النعال .. وبعدما أخذوا ما أرادوا أعطوهم جوهرة بحجم بندقة . بالنسبة إلى إدخال الجوهرة إلى الخزينة ، لقد أدخلت بالفعل ، لكن الملك وأعوانه ، وبالرغم من أن واحدهم يحمق في الشمس دون أن يرف له جفن ، لم يستطيعوا النظر إلى الجوهرة ، وبعض الوزراء أصيب بالعمى .

سألوا الدولة التي أعطتهم الجوهرة عن السر ، فأتاهم الجواب : «هذه جوهرة ؛ من ينظر إليها بعين خبيثة نغم عيناه .. لا يستطيع النظر إلى هذه الجوهرة سوى الجيدين ، الصادقين ، الذين خارجهم منطبق على داخلهم ، الذين تنبع أقوالهم من ضمائرهم» .

حلت بهم الدهشة . أراد الرجل الذي جلب الجوهرة أن يتراجع عن ذلك لكن الذي فات كان قد فات . ولا يستطيع أن يرى الجوهرة غير الطيبين والصادقين في البلاد .

جمع الملك علماء المملكة ، قال لهم :

— أنا رجل جيد ، صادق .. ألا ترون ذلك ؟

لم ينس نصف العلماء بكلمة .. النصف الآخر صاحوا قائلين :

— لست جيداً ولا صادقاً !

إلا أن بعض أخوان الشيطان بالرضاعة من العلماء قالوا للملك :

— أنت أجود من الجيدين وأصدق من الصادقين .

أمر الملك بإخاطة أفواه العلماء الذين تحدوه ، وقال للذين لم تخرج أصواتهم :

— محظر عليكم العلم في هذه المملكة .

وقال للعلماء الذين قالوا عنه إنه جيد وصادق :

— مادام الأمر كذلك ، لماذا لأستطيع النظر إلى تلك الجوهرة ؟ دعوني أراكم ، أنتم

علماء ، فافعلوا شيئاً كي لأظل محروماً من متعة النظر إلى هذه الجوهرة . والذي سينجح منكم

في هذا سأعينه رئيساً لعلماء القصر .

مستطيعون النظر إليها دون أن تؤذوا عينيكم .

سأهلم الملك :

— ولا تعمي عيناى ؟ ألا ترفان ؟

قالوا :

— أبداً .. لن يحدث أي شيء .

فعلوا كما اقترح العلماء .. قلبوا الجوهرة رأساً على عقب عندئذٍ رآها الملك وأعوانه ، وكل من في القصر .. وبمنتهى الراحة .

السيد والسيدة أحمد

في يوم من الأيام ، في إحدى الدول ، كان رجل يدعى أحمد بيك ، يعمل في تجارة الشعير والذرة والتبن . كان غنياً جداً ، غني ، لكنه لا يجب التبذير . يده مغلولة إلى عنقه . قالت له زوجته ذات يوم :

— عتق حذاء الصبي ، علينا أن نشتري له واحداً جديداً . فغضب أحمد بيك من زوجته وقال لها :

— ما هذا ؟ كانت أمي تشتري لي حذاء جديداً كل سنتين أو كل ثلاث سنوات ، وكان أبي يغضب من ذلك ويقول لها «أيامنا كان الحذاء يُخدم من خمس إلى عشر سنوات» ويضيف : «لم يبق عند الناس شرف ، لقد صاروا يصنعون ماهو فاسد» .. والآب ابنتا يهري حذاء كل شهرين ؟ ألم يبق عندك شيء من الرحمة ؟
قالت المرأة :

— الذنب ليس ذنبي ، لست أنا من يهري الحذاء .

قابلت المرأة الابن باللہجة الغاضبة إياها :

— أي نوع من الأبناء أنت ؟ أبوك وأنا كنا نستخدم الحذاء عامين . لم يعد في قلوب

الناس رحمة .. وهل يتلف حذاء خلال شهرين ؟

قال الولد :

— الذنب ليس ذنبي . على علمكم كنت في السابق ألبس الحذاء عاماً كاملاً . ماذا

بيدي إذا كان الحذاء يتخ ويمزق في شهرين ؟ لم يبق عند بائعي الأحذية أية أخلاق ، إنهم يبيعون أحذية عاطلة .

ذهبت الأم وابنها إلى بائع الأحذية الذي يشترون منه . سألاه عن سبب بيعه أحذية عاطلة . قال البائع :

— الذنب ليس ذنبي . وأنتم لستم الوحيدين الذين يشتكون من فساد الأحذية . الكل يشتكي منها .. وأنا ، من جهتي ، لأرغب في بيعها لكن ماذا بيدي ؟ لقد تغير الزمان ولم يبق عند الناس أخلاق .

ذهب بائع الأحذية وهو يتحرق من فساد الأحذية إلى الحذاء وسأله عن سبب صنعه أحذية قليلة المتانة . فقال الحذاء :

— الذنب ليس ذنبي . كنت أدفع في السابق لقاء المواد الأولية أقل مما أدفعه الآن ، ومع ذلك لأستفيد بقدر ما أدفع . كان عند الناس شرف ، كانوا يبيعوننا مواد متينة . اليوم النعال والجلود ضعيفة التحمل وخربانة .. ليس لي ذنب في هذا ، أبداً .

منرفراً ذهب الحذاء إلى التاجر الذي يشتري منه الثعل والجلد . سأله عن سبب بيعه نعالاً وجلوداً قليلة التحمل . قال بائع الجلد :

— الذنب ليس ذنبي . وهل أحب أن أبيع زبائني نعالاً وجلوداً ضعيفة حتى ينفضوا عني ؟ الزمن تغير يا أخي ، والناس أصبحوا بلا أخلاق ولاناموس . كم معمل جلود بدلت ، كلها تنتج جلوداً رديئة .

ولم يقف بائع الجلود عند هذا الحد ، ذهب إلى المعمل الذي يستجر من عنده الجلود :

— أنا في موقف محجل جراء بيعي إياكم جلوداً فاسدة .

وأضاف :

— إن ماقلته صحيح ، لكن الذنب في هذا ليس ذنبي . في السابق كانت الجلود الخام التي نشترها ونصنعها في معملنا جيدة ومتينة . اليوم لم يعد عند الناس أخلاق ، فهم ، من جهة ، يبيعوننا جلوداً رديئة ، ومن جهة أخرى يرفعون أسعارها كثيراً .

وذهب صاحب المعمل إلى تاجر الجلود الخام ونقل له الشكاوى التي تأتيه حول الجلود . فقال تاجر الجلود :

— ماقلته صحيح جلود اليوم ليست متينة كما كان عليه الحال في السابق . نحن نشترى

الجلود من تجار الغنم الذين يبيعون بأغنامهم إلى المسلخ . الجلود التي كنا نشترها في الماضي كانت سليمة مثل أخلاق بائعيها .

وذهب تاجر الجلود إلى تاجر الغنم الذي يشتري منه جلود التيس ، وحكى له الحكاية ، فقال تاجر الغنم :

— الذنب ليس ذنبى . الزمن تغير ، وأخلاق البشر لم تفسد وحدها ، جلود التيس ، هي الأخرى ، فسدت . ولو كنت بعتمك جلدي ، وطلع معكم فاسداً ، لكان الحق معكم في أن تغضبوا .. لكن ليس جلدي مأبىعكم إياه ، إنه جلد التيس . أتصدقون ؟ حتى التيس مابقي عندها شرف . الذنب ليس ذنبى ، إنه ذنب التيس .
واقرب تاجر الغنم ، الذي تأتيه الشكايات دائماً ، من أحد التيس المسوقة إلى المسلخ ، وقال له :

— ألا تشعر بالخل من أنك تضعني في مثل هذا الموقف مع التجار ؟ إنهم يلومونني بسببك . يامعشر التيس ، كانت جلودكم في الماضي أحسن مما هي عليه الآن .. حتى جلودكم فسدت ؟ لوى التيس رأسه وقال :

— مالنا ، نحن التيس ، أي ذنب في هذا . خذني كمثال : أنا أعمل بكل قواي ، بلحمي وقروني وروئي وجلدي ، كي أكون نافعا لصاحبي . لكن الانسان ، في كل الأحوال ، سينجني ويسلخ جلدي ، لذا لأريد أن أعطيه جلدأ أقوى وأكثر سماكة .. لقد تبدل الزمان ، فما العمل ؟ لم تعد جلودنا متينة ومقاومة كجلود آبائنا . مالذي بيدي لأعمله ؟ لأستطيع تقوية جلدي وتسميكة . فالشيء الذي تضعونه قدامي على أنه شعر ، نصفه تراب ورمل .. وكذلك تقدمون لي أعشاباً فاسدة على أنها تين ، ناهيك عن أن الكمية لاتعادل نصف الكمية التي كنتم تقدمونها في السابق . بهذا القدر من العلف يطلع جلد بهذا القدر من السماكة .

حزن التيس لانحدار جودة جلده وذهب إلى صاحبه ساخطاً :

— لماذا لاتعني بي جيداً ؟ تقدم لي علفاً قليلاً من جهة ، ومغشوشاً من جهة ثانية ؟ عظامي لاتنمو ، وجلدي لايمكن . بسببك يحملون الذنب للتيس .
قال صاحب التيس :

— ماقلته صحيح . لكن الذنب ليس ذنبى . فأنت تعرف أن الشعر والتبن اللذين أنتجتها في حقل الصغير لايفيان للحيوانات ، لذلك أذهب إلى التاجر أحمد بيك وأشتري منه

تبنأ وشعيراً . لقد تبدلت أحوال الدنيا ياسيد تيس . لم يبق انسان شريف على وجه الأرض ..
أحمد بيك يرفع الأسعار من جهة ، ويبيعنا مواد مغشوشة من جهة أخرى . وأنا لأستطيع أن
أقدم لك علفاً كثيراً وجيداً كما في السابق .

زعل الرجل من كلام تيسه ، وهرع إلى التاجر أحمد بيك . سأله عن سبب بيعه علفاً
مغشوشاً وغالي الثمن .
قال أحمد بيك :

— ماقلته هو الحق . لكن ليس لي ذنب في هذا . لم يبق عند الناس ناموس .. لقد
تبدل الزمن كثيراً ، فالخذاء الذي كنت أشتريه في السابق لابني كان يخدمه لمدة عام كامل ، أما
الذي أشتريه له اليوم فلا يقيم عنده شهرين .. فهو فاسد من جهة ، ومرتفع الثمن من جهة
ثانية . وهل وقفت الأمور عند الخذاء ؟ الملابس والمأكول .. وكل شيء . من أجل ضمان عيالي
يجب أن أفعل مع الآخرين كما يفعلون معي . صدقتني أنا لأعمل هذا عن قصد .. الذنب ليس
ذنبني .

.. وذهب التاجر أحمد بيك ، بالغضب ذاته إلى الخذاء ، والخذاء إلى صاحب المعمل ،
وصاحب المعمل إلى تاجر الجلود الخام ، وتاجر الجلود إلى تاجر الأغنام ، وتاجر الأغنام إلى
التيس ، والتيس إلى صاحبه ، وصاحبه إلى التاجر أحمد بيك ..
وكل واحد يقول للآخر :

— ماقلته غاية في الصحة ، لكن الذنب ليس ذنبني .. الزمن تبدل ، ولم يبق شيء اسمه
أخلاق .

هم نالوا مرادهم ، ووقعنا نحن في الخفيسة^(١) .

الخفيسة : نوع من فئاح الحيوانات : حفرة تغطى بالأغصان والأعشاب وتعمه ليقع فيها الحيوان . (والترجمة
لهذه الجملة غير حرفية) — المترجم .

البرغموت والضحمة ملكي في العالم

كان بإمكان .. قليل عند البعض ، وعند البعض الكثير . شعبو البطون جائعو العيون ، شعبو العيون جائعو البطون . اضرب الضارب واكسر الكاسر .. كان مكان ، فيه جَيْبٌ (علي كسار الرؤوس) ملآن .. ولم يكن معروفاً الإنصاف في ذلك الزمان .

كان ذلك في إحدى الدول .. العائشون فيها يوزنون مرة كل سنة ، والأثقل بينهم يصبح ملك البلاد . ولهذا كان سكان تلك الدولة يأكلون ويشربون دون توقف أو استراحة ، كي يسمنوا ويزيد وزنهم .

وكان في تلك الدولة رجل نحيل ، غث . دمه نشفان وكذا نخاع عظامه . وكان ، شأنه شأن الآخرين ، يقول دائماً :

— آه لو أصبح ملكاً !

يقوها والدمع في عينيه وافر ، والأكل في صحنه نادر . ماذا يأكل وماذا يشرب حتى

يسمن ؟

وذات ليلة .. وبينها هو نائم في كوخه ، أخذ يهرش .. يهرش مسروراً ، ويفكر مقهوراً :

كان شيء ما يقرص جلده الملتصق بعظامه . ألقى يده على ظهره ، فتنش بين فخذيته

.. لم يعثر على الشيء الذي كان يقرصه . وعندما لم يقع بيده شيء راح يحك رقبتة ويقول :

— لو أصبح ملكاً ..

وإذآك تناهى إلى أذنه صوت وظ وظ .. جَسَمَتْهُ أذنه .. كان الشيء الذي يوظ يردد :

— ليس لهذا الرجل دم .. ولا روح !
استمر يهرش حتى الصباح ، والوظيظ يقول :

— ليس لهذا الرجل دم .. ولا روح .

قال الرجل النحيل :

— من هذا ؟

وجه سؤاله إلى الظلام ، فأتاه صوت الوظيظ من الظلام يقول :

— هذا أنا .. برغوث .

— أين أنت ؟

— عند لوحى كفتيك .

— تعال لأراك .

نزل البرغوث من ظهر الرجل إلى ركبته . عانى من ذلك لأنه لم تكن في معدته ولو مصّة دم واحدة . سأله الرجل :

— ما الذي كنت تقوله دون توقف ؟

قال البرغوث :

— طوال الليل وأنا أنقب في جسمك فلم أعر على نقطة دم واحدة ثمصّ . وأنت ؟ ماذا كنت تقول ؟

أخذ الرجل البرغوث بين أصبعيه . وفي اللحظة التي أوشك أن يمسه فيها قال البرغوث :

— لاتمسنى ، وأنا اساعدك في أن تصبح ملكاً .

— أنت برغوث ، فكيف تساعدني لأصبح ملكاً ؟

— تعذّبني وأغذّيك ، فيسمن كلانا .. وعندما تصبح ملكاً أعيش أنا على خيرك .

— وكيف أستطيع تغذيتك ؟

— أليس لك أعداء ؟ خذني إلى أعدائك وافلتني . أمصّ دمهم حتى أنشفه من المص ،

وتسيطر أنت على كل ما لهم وما عليهم .

خشّ كلام البرغوث في عقل الرجل النحيل . فكر فكر .. ليس له أعداء . قال للبرغوث :

— أنا ما لي أعداء .

قال البرغوث :

— كيف؟ لكل مخلوق على وجه الأرض أعداء . وأنت لك أعداء ، لكنك لا تعلم بهم .. فكر لنرى .

فسرح الرجل يفكر :

مَنْ عدوي يا ترى؟ هذا ، ذاك؟ هو؟ الآخر؟..

قال البرغوث :

— جائز أن يكون كل هؤلاء الذين تعددهم أعدائك ، وأنت لا تدري . إن ألدَّ أعدائك

وأخطرهم هم أولئك المخيفون الذين يواجهونك بالابتسام .

قال الرجل :

— هذا صحيح .

وتناول البرغوث وألقاه من النافذة المطلة على دار جاره ، وانداك هو تحت الأغطية الشعرية

ونام . في الليلة التالية ، وبينما كان يردد :

— آه لو أصبح ملكاً .. آه لو أصبح ملكاً!!

سمع ذلك الصوت الذي أصبح أكثر خشونة . نظر فوجد البرغوث . كان البرغوث

ممتلاً . قال :

— انظر . في ليلة واحدة أصبحت على ما يرام . خذني لأمص دم عدوك .

أخذ البرغوث إلى دار جاره مرة أخرى . بعد مضي ليلة عاد البرغوث متضخماً كحبة

بندق . قال وهو يتدحرج :

— انظر . أترى بأي حجم أمسيت ؟ مصصني دم أعدائك حتى أكبر أكثر وأكثر .

— أنت تسمن ، لكن أنا لا أستفيد شيئاً .

— لاستمتع بالأمور . بعد مدة من الزمن ليست بالطويلة ستسمن حتى يضطروا إلى

تنصيبك ملكاً .

صار الرجل يأخذ البرغوث إلى دار جاره كل ليلة ويفلته ، والبرغوث يعود في الليلة التالية

متضخماً أكثر . لقد تضخم حتى صار بحجم الجوزة ، التفاحة ، الجرد ..

ولما صار بحجم الجرد فقد جار الرجل القدرة على احتمال البرغوث فأخذ عياله وأولاده

وذهب ليسكن في مكان آخر . انتقل الرجل النحيل إلى بيت جاره التي هُجرت وصار يأكل

فواكه أشجاره وخضار بستانه .. وهكذا تلمم وصار في وضع معقول . لكن البرغوث ما

انفك يقول :

— أنا جائع . ابحت لي عن دم أمصه .

وأخذ الرجل يفكر :

— مَنْ عدوي ياترى؟ الشخص الفلاني لم يسأل عن صحتي صباح البارحة . أتراه عدوي؟ أم ذلك عدوي؟ هل ساعدني في شيء حتى الآن؟

كل ليلة يأخذ الرجل البرغوث إلى بيت أحد أعدائه ويفلته هناك . أمسى البرغوث بحجم الققط ، ثم بحجم الأرنب من فرط مصه الدماء . صار يدخل البيت ويمسك صاحبه من رقبته ، يمص دمه فيميته .. وصاحبُ البرغوث يستولي على أموال القتيل ، ويأكل ويشرب ويسمن . إلا أن البرغوث لا يتوقف أبداً :

— أرني عدوك لأمص دمه .. أنا جائع .

أصبح البرغوث شرساً ككلب بُلْدَغْ (*) ، وكلما صادف أحداً يعوي عليه ويرمي نفسه عليه . وبالنسبة لصاحبه كلبٌ أمين ، لا يعصى له أمراً .

قطع البرغوث الجبل ، ربطه بجزير .. قطع الجزير .

عندما يمتص دماً يشبع وينام .. وعندما يكون جائعاً لا يهدأ .. يصرخ :

— أنا جائع .. أوجد لي عدواً لأشرب دمه .

صار إذا خطب بنتاً ولم يعطوه إياها يعتبر أهلها أعداء ، ويفلت البرغوث عليهم . وإذا

داس أحد ما على رجله بالخطأ يقول له :

— واخ !! أنت عدوي .

ويطعمه للبرغوث .

صار البرغوث بقدر الثور . والرجل من جهته سمن . وأخيراً حلَّ أوان الانتخابات . وكما

يفعل الجميع وزن الرجل نفسه . كان ثقيلاً إلى درجة أن قبان الحطاب الذي كانوا يزنون به لم

يحمل ثقله فانقطع .

قال الأهالي :

— لم يتوج على رؤوسنا ملك بهذه الضخامة حتى الان . إنه أكبر ملك في تاريخنا .

عاش الملك الكبير .

(هـ) نوع من الكلاب الشرسة — المترجم .

يهيصون ويصفقون حاملين الملك حتى القصر . جلس البرغوث الشرس بجوار عرش الملك . وعندما حل الليل أخذ يرفس ويصرخ :

— أنا جائع .. أريد دماً .. أريد روحاً .

نادى الملك كبير الأعوان :

— إخص لي أعدائي في مملكتنا وأحضرهم إليّ حالاً .

قال كبير الأعوان :

— رحماك يا مولانا . ليس لكم في المملكة أعداء . أنتم لم تصبحوا ملكاً بالقوة . لقد

وزنكم الشعب ، ولكونكم طلعتم الأثقل أصبحتم الملك .

— هذا مستحيل . أصبح ملكاً ولا يكون لي أعداء؟ أسرعوا واعتروا على أعدائي

وهاتوهم .

دهش كبير الأعوان لهذا التصرف . لكن ماذا بيده؟ قرار ملكي . أعطى أمره للأعوان ،

والأعوان لمن يليهم .. حيثما وجدتم عدواً للملكنا اقبضوا عليه وهاتوه .

وبدأوا يبحثون عن عدو . قال كبير الأعوان مدفوعاً بخوفه على نفسه :

— كل من يلتفت جهة اليمين عدو للملكنا .. اقبضوا عليه وأحضره!

من لم يسمع الأمر والتفت يميناً عُدَّ من أعداء الملك وجيء به . أكلهم البرغوث جميعاً

بشرقة واحدة . أكلهم ، لكنه لم يشبع :

— أريد دماً .. إني جائع .

ويضرب رأسه بجدران القصر فتتهز الأساسات . قال كبير الأعوان :

— من التفت جهة اليسار فهو عدو للملكنا .

الجميع لا يلتفتون جهة اليمين ولا جهة اليسار ، وكل من التفت بالخطأ قبض عليه وجيء

به .. يرتمي البرغوث الذي أمسى بحجم القيل عليهم ، يمتص دمهم ، ويسمن .

عندما يصرخ :

أنا جائء... مع!

تنزعز الأرض والسماء .

ولكي يوجدوا للملك أعداء يقدمونهم للبرغوث اعتبروا عدواً للملك كل من ينظر الى

الأمام ، الخلف ، الأسفل ، الأعلى .. صار الناس في تلك الدولة ، لتلا يُعدوا من أعداء الملك

وتزهق أرواحهم ، يمشون مغمضين العيون ، لا ينظرون إلى أي جهة . والملك يصرخ :

— يلزمني أعداء .. أسرعوا .. دبروا لي أعداء .
وكيف لا يصرخ والقصر لم يعد يتسع للبرغوث .. ازدادت شراسة البرغوث إلى حد أن قال للملك :

— إما أن تدبر لي دماً أمصه أو أمص دمك .
إذا لم يجد الملك أعداء فسوف يخسر نفسه . والناس ، كيلا يعتبروا أعداء للملك ، ما عادوا يخرجون من بيوتهم . ماذا يعملون ؟ أسسوا منظمة أسموها (منظمة البحث عن أعداء) ..
ولأن البرغوث يحتاج في كل يوم إلى مزيد من الأعداء فقد أخذت المنظمة تتوسع يوماً بعد يوم ، وصار واحداهم ، كمي يحمي نفسه ، يقول عن الآخر :

— هذا عدو ملكنا .

ويشيء به .
والبرغوث لا يشبع أبداً ولا بشكل من الأشكال . كيف يشبع وهو كلما امتص دماً سمن ، وكلما سمن جاع ؟

صاروا يخرجون المختبئين في بيوتهم ويسألونهم :

— ما اليوم ؟

فإذا كان اليوم هو الأربعاء وقالوا :

— اليوم الأربعاء .

يعتبرونهم أعداء للملك ويقبضون عليهم ويرمونهم أمام البرغوث .
صار الجميع يقولون عن يوم الأربعاء (إنه الخميس) . لكن هذا لم يكف أيضاً ، حوافر البرغوث على الأرض وظهره صار في السحاب . كبر وأخذ يهر على الملك :

— دبر لي دم عدو أمصه أو أبتلعك !

ومن خوفه من البرغوث صار الملك يرى من حوله كلهم أعداء ، كائناً من كان في القصر يزعق بهم :

— أنتم أعدائي !

ويرميهم في شدة البرغوث ذي اللهب العريض وكأنه باب فرن .
قدم له الأعوان كافة ، رؤساء الأعوان ، وكبيرهم . أطعم (منظمة البحث عن أعداء) للبرغوث . كبر البرغوث إلى حد أنه ناخ بجسده الضخم المترهل فوق البلاد . فتح فمه ومد لسانه للملك كأفعى جبارة . قال :

— أنا جائع . أوجد لي دماً أمصه .

نظر الملك إلى يمينه ، نظر إلى يساره ، نظر خلفه ، نظر أمامه ، لا يوجد أحد سواه .
هرب . لكن أين المقر؟ الملك الضخم يطلع بجوار البرغوث بحجم قملة . ويشعرة من أطرافه
يطول غصن شجرة أمسك البرغوث بالملك . صاح به وهو ينفث اللهب :

— أرنى عدوك حتى أشرب دمه . أنا جائع .

بكى الملك وتوسل . رمى نفسه على الأرض قدام البرغوث . لكنه هذا لاينفع :

— أرنى عدوك لأمص دمه .

عندئذ أشار الملك بسبابه يده اليمنى إلى صدره . عمل البرغوث : هُلبُّب .. وابتلع

أضخم ملك في العالم .

الكلب الرعاعي والقطار

وضعت النعاج مواليدها من الخراف . القطيع ، كما هو دأبه دائماً ، يعرعى على السفح . فوق التل كلب حراسة ضخيم . نظر الكلب في الاتجاهات الأربعة ليرى ماإذا كان ثمة خطر يتهدد القطيع الذي يحرسه . أسند الكلب الضخم رأسه إلى قائمته الأماميتين . كان يستعرض القطيع الذي كان يعرعى من أعلى التل وكلما سمع صوتاً تنتصب أذناه ، ليعرف ماإذا كان ثمة خطر .

من جوار التل الذي كان يعرعى الغنم عليه تمرُّ سكة القطار . حالما يخرج القطار من النفق فإنه يمر من تلك النقطة المحاذية للتل .

ابتعدت بعض الخراف باتجاه سكة القطار أثناء لعبها ، فقفز كلب الحراسة — إذ كان في حالة ترقب دائم — من المكان الذي كان متمدداً فيه بسرعة ، ودفع الخراف معيداً إياها إلى القطيع . كان اثنان منها يحاولان الدخول إلى الدغلة فقطع عليهما طريقهما وأعادهما ، وعاد هو ليتمدد في أعلى نقطة من التل .

سمع صوتاً . إنه صوت القطار . قفز كلب الحراسة من مكانه واتجه كالسهم صوب الجهة التي كان الصوت يأتي منها . كان القطار قد خرج للتو من النفق . لم يفكر كلب الحراسة في كون القطار أكبر وأقوى منه . ليكن مايكون فهو سيرتقي فوقه ليحتمي أغنامه .

لو كان كلب الحراسة استطاع الركض بسرعة أكبر لاصطدم بالقطار وجهاً لوجه ، لكن ، عندما وصل إلى السكة الحديدية ، كانت آخر مقطورة من القطار وآخر عجلة من عجلاته تبتعدان عنه .

لم يكن للقطار مع ذلك علم بقطع الغنم ولا بكلب الحراسة الذي يجرسه . كان سائراً على السكة التي مدت له منذ زمن بعيد لا يستطيع الخروج عنها قيد أكلة .

انتصبت أذنا كلب الحراسة الضخم وارتفع ذيله في الهواء وأخذ ينبح :

— هاو هاو هاو .. إذا كنت تتق بنفسك فلا تهرب .

القطار سائر على سكته والكلب ينبح وراءه :

— لا تهرب ولاه ! هاو هاو ...

أخذت المسافة بين القطار والكلب تتسع مع استمرار المطاردة . وبسبب الركض والنباح

صار الكلب يسحب نفسه سحباً . صوته مثل منفاخ كور الحداد يعلو وينخفض .. وينبح :

— هاو هاو هاو ...

ابتعد القطار أكثر وأكثر ، ومع مرور الوقت بدأ يتضاءل حجمه ، وكلما تضاءل حجمه

يُسِرُّ كلب الحراسة :

— كيف أجعل القطار أصغر حجماً ؟ هاو هاو هاو .. إنه يتضاءل من خوفه مني ،

هاو هاو ..

لقد أصبح كلب الحراسة كطير طائر ، والقطار لم يكن يسمع نباحه أو يراه . كان

يتقدم في طريقه إلى المحطة وفقاً للبرنامج الزمني المبلّغ إليه . كان كلب الحراسة وراءه والمسافة

بينهما تكبر .. ثم أصبح القطار من فرط تنائيه بحجم إصبع .. ثم كنفطة .

عندما لم يعد يرى القطار توقف كلب الحراسة . لم تبق عنده قوة تساعد على أن يتقدم

خطوة . راح ينبح قائلاً :

— لقد أزلته من الوجود نهائياً . أزلت قطاراً عملاقاً .. من خوفه ! هاو هاو هاو ..

ارتخت أذنا الكلب وقفل راجعاً يمشي بيضاء ويحرك قوائمه بصعوبة . لكنه بقي يفخر

بنفسه على نحو مستمر :

— كيف جعلت القطار العملاق يهرب .. هاو هاو هاو .. حميت قطيعي منه ..

القطار ، من خوفه مني تبخر .. لم يبق منه دخان حتى .

أضحى مسروراً لأنه حمى قطيعه من خطر القطار . تسلق التل بصعوبة ولم يعد يمتلك

القدرة على النباح .

لكن ماهذا ؟ لم يبق على التل غنمة أو خروف . كانت العظام وبقع الدم وحزب الصوف

متناثرة هنا وهناك .

عرف كلب الحراسة أن قطع ذئب قد هاجم الأغنام وأكلها . كانت جثث الأغنام مرمية هنا وهناك .

صعد كلب الحراسة إلى أعلى نقطة من التل . نظر إلى الجهة التي مضى فيها القطار . قال متنبهاً على نفسه :

— لقد تصديت للخطر الأكبر . أزلت قطاراً ضخماً خاف مني .. هاو هاو .
وتعدد على الأرض منهكاً وراح يستعرض جثث الأغنام بسرور .

دولة المسائين

كان ياما كان .. أنت كان عندك .. أنا ، عندي ما كان . كان ، في ذلك الزمان ، على وجه الأرض ، دولة . كان سكان تلك الدولة يعيشون في هناء وسرور . وإذ بوباء غير معروف يعصف بهم . أخذ ذلك الوباء يجعل بعض المواطنين في تلك الدولة ينحفون ويزولون والبعض الآخر يسمنون ويتضخمون .

أخذ طول النحيفين يتناقص مع مرور الزمن ، لكن الهزال ونقصان الطول يحصلان ببطء شديد ، بحيث أن أحداً لم يكن ليتنبه إلى أنه كان يقصر أو إلى أن الآخرين كانوا ينحفون . كانوا ينحلون في اليوم الواحد بمعدل خمسة إلى عشرة غرامات وينقص طولهم بمعدل سنتيمتر واحد أو سنتيمترين . صاروا ينحفون ويتضائلون ويصغرون ويقصرون .. حتى جاء وقت أصبح واحد منهم فيه بشخانة العكاز ، وبطول محرك التنور .. واستمروا في القصر والنحول .

على الطرف النقيض كان أناس آخرون يسمنون ويتضخمون يوماً بعد يوم . وكما كان الآخرون ينحلون ويقصرون ، ولأن هؤلاء كانوا يطولون بمعدل مليمترات في اليوم ، ويزيد وزنهم بين خمسة وعشرة غرامات ، لم ينتبهوا إلى تضخمهم وتضخم رفاقهم ، أصبحت هاماتهم كالمداخن ، وجذوعهم كالسفن .

كان عدد المتضخمين متخالفاً مع عدد الناحلين المتضائلين .. عدد هؤلاء لايساوي عدد أولئك . كان يتضخم شخص واحد مقابل كل خمسة إلى عشرة أشخاص ينحلون . صار أطفال الصغار يولدون صغاراً كحب البندق وأولاد المتضخمين بالمقابل يولدون ضخمين كصغار الفيلة .

ظن المولودون حديثاً من الصغار والمولودون حديثاً من الكبار أن هذا الوضع قائم منذ الأزل ، لذلك لم يلحظوا أي خلل أو (لاتناسب) أو لا واقعية في هذا .
كان هؤلاء ينظرون إلى من هم أصغر منهم ويقولون برضا «الحمد لك يارب !.. هنالك من هم أصغر من الصغير .. نحن إذن بخير» .

إلا أن الواحد من المتضخمين كان عندما يرى من هو أضخم منه يقول بحرقه «يارب !.. اجعلني أضخم منه يارب» . وكان الرب يستمع إلى دعائهم ويحقق أمانهم فيضخمهم يوماً بعد يوم .. حتى أتى يوم لم تعد البيوت التي يسكنونها ، الأسرة التي ينامون عليها ، الطرق التي يمشون عليها .. تتسع لهم . وبدأوا يعملون : صارت سيقانهم تترقق من تحت اللحف فوسوا اللحف بما يناسب سيقانهم .. شقوا الطرق بما يناسب جذوعهم ، رفعوا الأبنية بما يناسب أطوالهم .

جاء يوم أصبحوا فيه لا يستطيعون المرور من الطرق التي شقوها ، أو الدخول من أبواب البيوت التي شيدها ، ولم تعد تتسع لهم اللحف التي وسعوا ، فوسوا بيوتهم وطرقهم ولحفهم من جديد . أمسست الساحات صغيرة فوسعوا ، المدينة التي يعيشون فيها غدت ضيقة هي الأخرى فخرجوا إلى الأطراف ، استمروا يتوسعون وينتشرون بقدر ما يستطيعون .

أما الذين كانوا يتضاعفون فقد أخذوا يضيِّقون الأشياء بقدر ما يلزم ، حتى غدوا ، بعد حين من الزمن ، يدخلون قشرة البطيخة أو الجوزة أو البندق ، على أنها بيت .. ولم يقفوا عند هذا الحد ، بل صغروا وصغروا حتى صاروا يُفقدون بعد زمن ، ولايرون بالعين المجردة ، لايرون إلا بالمجهر . وكانوا يعتقدون أن هذا الأمر طبيعي ، فلم يشتكوا من شيء .

راحت أيام جاءت أيام توقف فيها البدينون الضخمون عن النمو ، لابل إنهم ، هم الآخرين ، أخذوا يتضاعفون . لكن تضاعفهم لم يحدث بطيئاً كمنوهم ، كان فجائياً . الذي كان يطول بمعدل ملمتر أو ملمترين يوماً صار يقصر بمعدل شبر أو شبرين .. والذي كان يسمن بضعة غرامات في اليوم أصبح وزنه ينقص عشرة كيلو غرامات دفعة واحدة . الذي كان ينام ووزنه طنان وطوله خمسة أمتار ، صار يستيقظ صباحاً فيجد طوله قد غدا مترين ووزنه مائتي كيلو غرام .. يذوبون بسرعة كبيرة .. حتى جاء وقت أصبحوا فيه لا يعرفون أنفسهم وصاروا يرتعبون من أشكالهم في المرآة . حل بهم خوف عظيم حتى إنهم ، من فرط خوفهم من أن يصغروا حتى يصبحوا غير مرئيين ، باشروا يزهقون أرواحهم ، صاروا ينتحرون الواحد تلو الآخر ؛ والبكاء والزعيق من كل أنحاء المدينة يشق عنان السماء :

— إننا نتحل !..

— نذوب ...

— نتلاشى ..

لكن البكاء والحزن والولاول لم تُجدهم نفعاً ، فقالوا : «تعالوا نضع عقولنا في رؤوسنا قبل أن نتلاشى نهائياً ونبحث عن طريقة للخلاص من هذا التضاؤل الذي لايتوقف» .. لم يعودوا راغبين في أن يكبروا ويتضخموا ، بل إنهم رضوا بأن يبقوا على ما هم عليه . راجعوا الأطباء ، كانت حالة الأطباء أسوأ . الكل يفكر بنفسه .. يصفرون ويضمحلون وأعينهم مفتوحة .

وباء خطير مُعدٍ ينتقل من هذا إلى ذلك . أعطاهم الأطباء أدوية للسمنة ، حقنهم بحقن داعمة للعظام ، نصحوهم «كلوا كثيراً» وقالوا لهم «لاتخزنوا ولا تنفخوا» .. لكن .. لكن ، لفائدة . وإذ ذاك قال مواطنو تلك الدولة ، بعدما صفنوا وفكروا «لنبحث عن خبير في دولة أخرى علّه يجد لمشكلتنا حلاً» .

ومثلما قالوا فعلوا . استدعوا أكبر خبير سمنة في العالم . جاء الخبير ، عابن الذين كانوا ينحلون ويتلاشون . قال :

— إنه ليس مرضاً جديداً . لقد ظهر في أماكن أخرى من العالم .. ومهما يكن خطيراً فإن له علاجاً .. سأقيم بينكم مدة من الزمن ، افتحوا أعينكم وأذانكم وراقبوني ، وافعلوا ما سأفعله بالضبط .. وسترون إذا فعلتم مثلما أفعل كيف سيتوقف تلاشيكم وتحولكم ، وكذا تحوكم وتضخمكم .. ستظلون هكذا كما أنتم .

قال قوله هذا ، ثم وزن نفسه وقاس طوله أمامهم . طلع وزنه ٧٥ كيلو غراماً وطوله

١٧٩ سنتراً .

لم تفارق أنظار سكان تلك الدولة الخبير لكي يعرفوا ماذا سيفعل . الجميع فتحوا أعينهم وآذانهم .. لم يرفعوا أبصارهم عنه إطلاقاً . أقام الخبير في تلك الدولة أربعين يوماً وأربعين ليلة ، ثم جمع المواطنين حوله وقال :

— ها قد عشت بينكم كل هذه الفترة ، وقد رأيتُم ما فعلت ، فإذا فعلتم وعشتم كما

عشت فإنكم ستخلصون من هذا الوباء .

غير أن سكان تلك الدولة لم يروا الخبير يفعل شيئاً مختلفاً عما يفعلونه .. وإن كانوا قد

رأوا شيئاً فإنهم لم يفهموا كنهه . قال الخبير :

— وما أنذا أزن نفسي أمام أعينكم ...

وزن نفسه ، ٧٥ كغ ، قاس طوله ١٧٩ سم .. كما يومَ جاء ، لاسمين ولاخف . دهش

سكان تلك الدولة عن بكرة أبيهم . تساءلوا «ما الذي فعله الخبير خلافاً لما نفعل حتى إنه لم ينحل ولم يقصر؟» .

صعد الخبير إلى السفينة . وبينما كان يغادر قال :

— أفهمتم ياه ..؟! افعلوا مثلما فعلت .. أستودعكم الله .

ولأن الخبير كان قد أمضى الليلة البارحة دون نوم ، فقد فتح فمه وتناوب بعدما لفظ عباراته .. تناوب حتى ظهرت لهاته .

عندما رآه سكان تلك الدولة صاحوا جميعاً مسرورين :

— تمام !..

— الخبير تناوب !..

— الخبير تمطى !..

— فهما سبب عدم تحوله .

ومنذ ذلك اليوم وسكان تلك للدولة يتشاءبون ويتمطون لأن الخبير تناوب وتمطى .

توقف نقصان طولهم ونحوهم وصغرهم فعلاً .. بقي الضخمون ضخمين والصغار صغاراً . لم يطرأ أي تغيير .. ذلك أنهم من فرط مايتشاءبون ويتمطون ماعادوا واجدين وقتاً ليعيشوا ، حتى يكبروا أو يصغروا .

ومازالوا يتشاءبون ويتمطون حتى تاريخه .

كونوا بشراً يا صغاري

جمع أبو العجل وأم العجل صغار العجل حولهما ، وأعطياهن درساً عملياً . اختتم أبو العجل درسه قائلاً :

— يا صغاري !! اعملوا على أن تكونوا في هذه الحياة عملاً . لا تتخلوا عن غليبتكم في أي وقت من الأوقات .

تساءلت الصغار :

— وكيف نكون عملاً ؟ ماهي طرق التمثل ؟

قال أبو العجل :

— خذونا مثلاً لكم .. اعملوا كما نعمل .

تطلع صغار العجل إلى العجل الأب والعجل الأم وعملن مثلما كانا يعملان . طمرن الطعام في الصيف تحت التراب ، ووضعن بيوضهن عندما حان أوان وضعها ..

جمع أبو العجل وأم العجل أبناءهما ثانية .. قال لهن العجل الأب :

— يا أبناءتي ! أنا على وشك الموت ، أنا مبسوط منكم جميعاً . لقد أصبحت عملاً .. لم يتخل أحد منكم عن غليبتة . إنني مساعحكم ، والله يرضى عليكم .

جمع أبو السمك وأم السمك فراخهما حولهما ولقنانهن درساً سمكياً . أنهى السمك درسه على النحو الآتي :

— يا صغاري ! اعملوا على أن تكونوا في هذه الحياة سمكاً . لا تتخلوا عن سمكيتكم في أي وقت .

استوضحت الفراخ :

— وكيف نكون سمكاً ؟ ماهي طرق التسمك ؟

قال أبو السمك .

— خذونا مثالاً ! اعملوا مثلما نعمل أنا وأمكم !

نظر فراخ السمك إلى السمك الأب والسمك الأم وعملن مثلما يعملان . سبحن في البحر ، ابتلعن السمك الأصغر منهن ، وتلغعن أنفسهن للسمك الأكبر منهن ، بضن وتكاثرن .
جمع السمك الأب والسمك الأم أبناءهما حولهما . قال السمك الأب :

— يا أبنائي ! لقد كبرتم واكتملتم .. أصبحنا نستطيع أن نموت باطمئنان . أنا مبسوط منكم جميعاً ، فلقد صرتم سمكاً ، ولم يتخل أحد منكم عن سمكيتي . لم تضع جهودنا هدراً .
سامحتكم ، والله يرضى عليكم .

جمع أبو البط وأم البط فراخهما حولهما ولقناه درساً بظياً اختتم الأب درسه هكذا :

— يا صغاري ! اعملوا على أن تكونوا في هذه الحياة بطاً . لا تتخلوا في أي وقت عن بطيتكم .

قالت الفراخ :

— وماذا يتوجب علينا أن نعمل حتى نكون بطاً ؟ ماهي الطرق التي تجعل منا بطاً ؟

قال الأب :

— هيئة للغاية . اتخذوا منا مثالاً . انظروا كيف أتصرف أنا وكيف تتصرف أمكم وقلدونا .

تطلع فراخ البط إلى أبيهن البط وأمهن البطة وفعلن مثلما كانا يفعلان . صرن يوكوكن واك واك ، يسبحن في الماء ، يمشين على اليابسة ، يتناكحن ، يبيضن ، وتجلس إناثهن (قرقة) ، ويفقسن فراخاً .

جمع أبو البط وأم البط أبناءهما مرة أخرى . قال البط الأب لها :

— يا صغاري ! لقد كبرتم ونضجتم ، وصار كل منكم بطاً جيداً ، لم يجد منكم عن بطيته . لم يذهب تعبتنا سدى . الله يرضى عليكم .

قال الأبناء :

— نحن لم نأت شيئاً من عندنا . لقد نظرنا إليكما وقلدناكما .

جمع الكلب والكلبة جراءهما حولهما ولقناهما درساً* كليياً* . اختتم الكلب درسه قائلاً :
— يا صغاري ! حاولوا أن تكونوا في هذه الحياة كلاباً . لا تتخلوا عن كلييتكم أبداً .

تساءلت الجراء :

— وماذا نعمل حتى نكون كلاباً ؟ ماهي طرق التنكلم ؟

قال الكلب الأب :

— سهلة جداً . خذونا مثلاً ؛ اعملوا مثلما نعمل أنا وأمكم .

تطلعت الجراء إلى الكلب الأب والكلب الأم وقلدتهما . نبحن ، حرسن ، تعلمن

الأمانة ، تناكحن وتوالدن .

جمع الكلب والكلبة أبناءهما مرة أخرى . قال الكلب الأب :

— يا صغاري ! لقد كبرتم واكتملتم ، وصار كل منكم كلباً حسناً ، نحن على حافة

الموت ، نحن مسروران منكم ، تعبتنا لم يضع فيكم . ساعجناكم .. الله يرضى عليكم .

* * *

قال (أبو وأم) البقر ، البوفالو ، السمك الخماسي ، الجمل ، الفيل ، الأفاعي ،

الغنم .. وكم في العالم من أزواج من الكائنات ، لأبنائهن أن يكن مثلهن وأن يعملن كما يعملن .

تطلعت صغار هذه الحيوانات إلى آباتهن وأمهاتهن وسلكن سلوكهن حتى صرن

حيوانات جيدة ، ثم ، وكلما اقترب زوج منها من الموت ، عادا إلى جمع أبنائهما وعبرا هن عن

سعادتهما وساعجهاهن ..

* * *

جمع الانسان الأب والانسان الأم أطفالهما حولهما ولقناهما درساً* انسانياً* . اختتم الأب

درسه قائلاً .

— يا صغاري ! اعملوا على أن تكونوا في هذه الحياة بشراً . لا تحيدوا عن درب الانسانية

أبداً .

تساءل الأطفال :

— وماذا نعمل حتى نكون بشراً ؟ ماهي طرق التأنسن ؟

قال الأب :

— سهلة جداً . خذونا مثلاً .. اعملوا مثلما نعمل أنا وأمكم .

تطلع الأطفال إلى الانسان الأب والانسان الأم وعملوا مثلما كانا يعملان ، حتى صاروا مشاهيرين لأبويهم .

جمع الأب والأم أبناءهما حولهما من جديد . صرخ بهم الأب قائلاً :
— ويلي عليكم ! لم يطلع أحد منكم كما أردنا . لم يصبح أحد منكم انساناً . لقد كنتم ، جميعاً ، بعيدين عن الانسانية . نحن الآن على حافة الموت ، فياضيعان تعبنا فيكم .
لا ساعحكم الله .. يمحكمكم الله !

دهش الأبناء وقالوا :
— حسناً لماذا تدعون الله علينا ؟ هل ارتكبنا أي خطأ ؟ نحن . تطلعنا إليكما واتخذنا كما قدوة .. فعلنا مثلكما تماماً !

الملك الذي لم يعرف نفسه

كان ياماكان ، في أحد الأزمان ، مكان ، فيه دولة ، كلامها كثير وأفعالها قليلة . كان في تلك الدولة ، مثلما كان في كل الأزمنة الغابرة ، ملك . شعب تلك الدولة لم يكن يحب الملك .. ليس الشعب وحده ؛ بل حتى أولئك المقيمون في القصر من رجال الملك ، كانوا لا يحبونه . في الحقيقة كان ملكاً لا يُطاق .

كان الجميع في المقابل يحبون ولي العهد . لقد حاز ولي العهد الشاب على محبة كل الناس ، الكبير والصغير ، يحبونه من صميم قلوبهم . كانوا يحبونه إلى درجة أنه لو طلب منهم الموت لأباحوا له وأرواحهم دون تردد . لم تكن تلك المحبة من لاشيء ، فلقد كان ولي العهد محباً لوطنه . كان يزهق أحياناً من وطأة هيمنة الملك كلما توفر له وقت ، ويقف أمام الأراضي البور ، ويسكب دمه ويناجي نفسه قائلاً : «آه .. يا كيدي يا وطني .. هل ستبقى هذه الأراضي هكذا؟» ، يرى المستنقعات فيفكر بينه وبين نفسه : «يمكن أن تتحول الى جنة ... لو أن هذه المياه تجر لتروي التربة المشققة .. ثم لا يبقى مرض!»

الصحفيون أحبوا ولي العهد كثيراً . فهو كان يغضب من الضغوط التي كان يمارسها عليهم الملك . كان يقول للصحفيين :

— عندما لاتكون حرية صحافة في بلد ما ، لن تكون ديمقراطية !!

كان يحب الصحفيين أكثر من الجميع ، يحادثهم كثيراً ، يتبادل معهم المصوم ، ويفرغ ما بداخله أمامهم .

آمن الصحفيون بأنهم إذا ما أسقطوا الملك يوماً ، وتوجوا ولي عهده هذا مكانه ، ستولد حرية النشر ، لذلك كانوا لا يفارقونه .. وكان ولي العهد يولم للصحفيين الولايم وتلتقط له الصور بينهم ، ويكتب على الوجه الآخر من الصور «ذكرى أيام الصداقة الحميمية» ، ويوقع عليها .

الفنانون أيضاً أحبوا ولي العهد المؤمن بحرية الفكر والكلمة .

وكان ذوو الدخل المحدود والعمال يقدرونه عالياً ، إيماناً منهم بأنهم لن يعانون من شطف العيش إذا صار هو ملكاً ، وكان حب الموظفين له كبيراً .. القرويون كانوا يرفعونه على الراحات لأنه صرح بأنه سيحول هذا الوطن الى جنة .

لم يوفر الملك تصرفاً مع ولي العهد عندما عرف أن الشعب يحبه كثيراً . منعه من أن يكلم الشعب .. ولكي يسكت ولي العهد ويخدره أغلق عليه الباب في أحد أجنحة القصر ، وقدم له كل ما قد يحظر ببال من ذهب ومال وفتيات حسناوات .. لكن ولي العهد الذي كان يتحرق على أن يكون نافعاً لوطنه وشعبه لم ينخدع بأي من هذا .. هدده الملك بالتصفية مراراً .

كان الذين يعيشون في القصر من الأعوان يكرهون الملك ، كانوا كلهم في صف ولي العهد ، فراحوا ينقلون رسائل وأخبار ولي العهد المترج عليه الباب في القصر إلى الصحفيين . وفي يوم من الأيام ثار الشعب الذي ماعاد يحتمل سيطرة الملك بقيادة المثقفين وأسقطوه ، وتوجوا ولي العهد ملكاً .. ومن شدة فرح الشعب أقيمت الأعراس والاحتفالات .

توجه رجال القصر الذين كان لهم دور كبير في إسقاط الملك ؛ توجهوا لتبثته الملك . تفحصهم الملك الجديد الجالس على العرش واحداً واحداً .. ثم سأهم :

— من تكونون ؟

ذهل رجال القصر . كل هذا الذي فعلوه ، فعلوه من أجل أن يتوجوه ملكاً ، فكيف لا يعرفهم الآن ، كيف ؟

حاول أحدهم تعريفه بنفسه :

— يامولانا .. عندما كان الباب موصوداً عليكم في أحد أجنحة القصر ، كنت أنا أغامر بحياتي كي أوصل رسائلكم للصحفيين .

فكر الملك ، فكر .. ثم قال :

— لأذكر شيئاً من هذا القبيل .. متى حصل هذا الذي تحكون عنه ؟ إنني أراكم الآن للمرة الأولى .

انبرى آخر :

— أما أنا فستذكرني .. كنت أتسلل إليكم في منتصف الليل سراً ، وكنا نخطط

لاسقاط الملك حتى انبلاج الصباح ، وكنت أنا أعمل على تنفيذ تلك الخطط .

قال الملك :

— لابد أنكم قد رأيتم مناماً .. أنا لأعرف شيئاً عن هذا الذي تقولونه .
بالرغم من كل محاولاتهم لم يستطع رجال القصر تعريف الملك بأنفسهم .. وفي اليوم التالي
جاء الصحفيون لتبهة الملك . لم يعرف الملك الصحفيين أيضاً . تفحصهم واحداً واحداً من
فروقهم حتى أقدامهم قال :

— لأعرفكم .. لم أركم قط .

— كيف ؟ رحماك يامولانا . كنتم تخاطبونني (ياخي) .. كنا نتمشى معاً وكنتم تكونون
ذراعكم على رقبتي ، وعندما تصادفونني في أي مكان كنتم تحضنونني وتوسونني .. حتى إنكم كنتم
تكونون وتقولون (أه يا حرة .. أيا حرة ..) .

— من ..؟ أنا ؟

— نعم ، أنتم .

— متى ؟

— قبل أن تصيروا ملكاً ببضعة أيام .

— أين ؟

— في كل مكان .

— أبداً .. احذر أن تكون قد شبهتني لشخص آخر .

أبرز صحفي آخر للملك صورتها معاً وعلى قفاها كتابة بخط يده وتوقيع عندما كان
ولياً للعهد .. وهو الآخر لم يتعرفه الملك .

أخذوا الملك ونزهوه معتقدين أنه قد أضع ذاكرته من شدة الفرح . أخذوه إلى حيث
الأراضي والمستنقعات التي كان يقول إنه سيحيلها إلى رياض . فرك الملك عينيه براحتيه ، نظر ،
دقق ، سأل :

— أين نحن الآن ؟

— كنتم تنوون تحويل هذه المستنقعات إلى بحيرات ليصطاد الناس منها سمكاً ، وليتراكض
السياح إليها .

تطلع الملك ،، فحص ، دقق النظر ، قال :

— إنني أرى هذه الأماكن للمرة الأولى الآن .. ماأسخها ! لم يذكر الملك أي حادثة تعود

إلى زمن ولادته العهد ، ولم يتبين أياً من أصدقائه القدامى . دهشوا كثيراً . قال أحدهم :
— لعل الملك قد فقد ذاكرته .. تعالوا نر ما إذا كان سيعرف نفسه !
جاؤوا بمرآة بطول رجل ذات إطار ذهبي ووضعوها مقابل الملك . نظر الملك إلى خياله
في المرآة . لم يعرف نفسه . سألمهم :

— من هذا ؟

— هذا أنتم .

قال الملك :

— هذا ليس أنا .. تعالوا انظروا إذا شئتم . هل هذا أنا؟ نظر الذين كانوا برفقة الملك إلى
خيال الملك في المرآة .. ذهلوا . قالوا :

— جلالة الملك على حق في عدم معرفته نفسه .

كان خيال الملك في المرآة شيئاً غريباً حقاً . مخلوق له أذنا حمار طويلتان ، وقرنا جاموس
وعينا بوفالو .. شعر قرد وغلاظة دب أنوف خنزير وشدق كركدن .
وافق الحاضرون الملك . خرجوا من هناك ليخططوا لاسقاط الملك ، وليتوجوا مكانه ولي
العهد الجديد المغلق عليه الباب في أحد أجنحة القصر .

* * *

[نزلت تفاحة من السماء : نصفها لي ونصفها الآخر لي .. وهذا لك .. وهذا
لك^(١) .. هم نالوا مرادهم ، ووقعنا نحن في الخفيصة]^(٢) .

(١) يرافقتها عاداً إشارة بذيئة بالاصبع الوسطى . المترجم .
(٢) شكل من أشكال (القفلة) للحكاية الشعبية التركية — المترجم

السيدة قرود

كان في القفص أكثر من عشرة قرود ، وكان يقمن بحركات على العصي العرضانية ، تشبه الحركات التي يؤديها لاعب الجمباز على (الترابس) . كانت إحداها تجلس مطرقة وكأنها تمثال (المفكر) لرودان . لم أستطع تمييز القرد الكبير هذا عن الشمبانزي . تبادلت معه النظر مدة طويلة :

— هل تسمعون ؟

كنت سائرة بمحاذاة القفص ، ولأمر ما عدت .

— أقول لكم ، ياسيدي .. هل تسمعونني دقيقة ؟

كان المتكلم هو القرد الذي كان قبل لحظة صافناً .

— هل أنتم من تكلم ؟

— دخيلك ، بهدوء .. لئلا يسمعننا مرئي القرد فيمنعني من الكلام .

لكنكم تحكون كالبشر .

— طبعي .. فأنا بشر .

— كيف ؟ هل أنتم بشر ؟ مادام الأمر كذلك ، ماذا تعملون في القفص ؟

— لست أول بشري يدخل القفص ياه .. البعض يتزوج فيدخل القفص .. والبعض

الآخر يدخل في قفص جدول الراتب .. ألم تدخلوا القفص قط ؟

— لانتظري إليّ .. فأنا كاتب ، وساخر .. وعندما نصل إليها ، فسيقولون لي (حتى

السبع يدخل القفص) ويزقونني في السجن .

— السيد كاتب ساحر ؟ لي عندكم رجاء .

— تفضل ياسيد قرد .

— أنا لست سيداً .. أنا سيّدة .

— إني أسمعك ياسيدة قردة ..

— قلت لك إني لست قردة .. أنا بشر .

— وما عملك هنا ؟ لم أفهم ..

— هذا ماسأحكبه لك : أنا أحب السينا كثيراً . كنت في يوم من الأيام معجبة بجريتا

جاربو . بدأت بحياة عجيبة ، مثلها . تركت شعري ملخبطاً على كفتي . لو رأيتوني في تلك

الفترة ! بعدها جذبتني مارلينا ديترش ، فرقت حاجبي بالملقط ، وتشبّثت بها . دهنت وجهي

بيودرة بصفرة السل مثل مارلينا ديترش ، وصرت أشدّ خديّ إلى الداخل ، مثلها تماماً ، ثم

ظهرت زراه ليونارد ، فرحت أقفها ، أسرح شعري مثلها ، وأغني بصوت مخنوق مثلها

— أرجوك سيدتي .. لماذا أتيت إلى هنا ؟

— هاإني أحكي لك . بعد زراه ليونارد ، تشبّثت بكلارابو .. صبغت شعري بالأسود

الغامق ، وتجمّعت بالكورصة حتى أرقق خصري ، وعملت حاجبيّ رفيعين للغاية . ولما ماتت

جين هارلو — مع الأسف — بحادث طائرة ، أصبحت فيرونিকা ليك موديلي المفضل . صار

شعري يغطي إحدى عيني ، مثل فيرونিকা تماماً ، وصرت أطلي شفّتيّ الكبيرتين المكتنزتين

بالأحمر الغامق ، مثلها .

— أرجوك سيدتي ، ما الذي تريدينه مني ؟

— لو تستمعون إليّ خمس دقائق فستعرفون ماأريد . مرت موضة فيرونিকা بسرعة ..

لمعت إليزابيت تايلور ، فأخذت أصبغ نفسي مثلها . عملت شعري خصللاً خصللاً ، مثلها ،

فصار من يراني يقول (إليزابيت محلية !) ... لكن ، عندما تزوجت ريتاهايوراث من آغا خان ،

صبغت شعري بالأحمر ، ورسمت على وجهي شامات ، مثلها بالضبط . ولما تزايدت سرعة

مارلين مونرو بالظهور ، بدلت هيئة وجهي وجسمي على موديلها فصار من يراني يقول (مارلين

مونرو — نا) .

— عن إذنكم .. أنا مستعجل ، عندي شغل .

— قصتي على وشك أن تنتهي . ألا تريدون أن تقدموا معروفاً ؟

- بسرعة لو سمحتم .
- لو أنكم شاهدتوني أيام ظهرت أوردني هيون . كل شيء فمي أصبح كأوردني ، من شعري القصير كشعر الرجال ، حتى .. كل شيء . لكن حيننا لولو برمجدا غيرت كل شيء .
- فهمت أصبح تشبهين جينا ، ثم قلدت صوفيا لورين .
- صح . كيف عرفتم ؟ مثلما قلتم . وفي الآخر شبت نفسي بجريس كيلى . صرت أصبغ نفسي على طرازها ، وأرتدي قبعات ثقيلة كما كانت تفعل .. ومشت حياتي على هذا النحو حتى قبض عليّ .
- ماذا قلتم ؟ حتى قبض عليكم ؟
- نعم . في يوم كنت ماشية في الشارع ، قبضوا عليّ وجاؤوا بي إلى هنا . صحت (أنا بشر) ، لكنهم لم يسمعوني .
- لو أنكم راجعتم المحكمة .
- راجعتها ، فأرسلوني إلى خبير معتمد . الخبراء المعتمدون قدموا تقريرهم على آني قرودة . والآن ، رجائي : من هي آخر نجمة سينائية مشهورة ؟ وكيف تلبس ؟ وكيف تضع الماكياج ؟ كيف شعرها ؟ كيف تقف ؟ كيف تحكي ؟
- وهنا مر مرني القردة وصاح بالقرودة التي كانت تحادثني :
- أمن جديد ؟ أمن جديد ؟ أما زلت تقولين لهذا ولذاك إنك لست قرودة ؟
- وأخذ يضرب الحيوان المسكين بعضا كانت بيده . أمسكت مرني الحيوانات من يده وقلت له :
- ماتفعله مخالف للقانون . كيف تضرب انساناً ؟
- قال مرني الحيوانات :
- ياسيدي ! وهل صدقتم كلام هذه القردة ؟ أرجوكم انظروا إلى هذا الوجه .. انظروا إلى تفاصيل وجهها ، هل فيها شيء لا يشبه القردة ؟ أليس هذا وجه قرودة الخالق الناطق ؟ وهل بقيت بينها وبين الانسانية صلة ؟
- نظرت في المرآة التي في القفص بتمعن . لقد كان مرني الحيوانات على حق . قلت :
- نعم . إنها قرودة .
- طبعاً قرودة . لقد عاينها كل الأساتذة والأطباء والبيطريون وقدموا تقاريرهم على أنها قرودة .

وبينا كنت أبتعد كانت السيدة قردة تردد :
— آه .. شهرة أية نجمة سطعت الآن ؟ أرجوكم ..

كانت ترددها بتوسل .

الحزب الحزبي الحزبي الحزبي

كان في قديم الزمان .. بلد ، الغريال في التبن ، والجمل دلال ، والجربوع حلاق ، وأنا
تَنغَرُ تَنغَرُ ، في حضن أمي أهتر ، وبكري المصطفى شيخ الإسلام ، والجاويش أنجيلي قائد عام ،
وكركونز رئيس وزراء ، وكان سلطان . البلاد التي كانت تحت نفوذ هذا السلطان أشرفت شمس
الحرية عليها ، واخضوضرت شجرة الديمقراطية في تربتها .. الخير كثير والراحة أكثر ، سكانها
لاهمّ لهم ولا عم .

راحت أيام جاءت أيام ، حل فيها — وقام الله — قحط لا يوصف . الذين كانوا يأكلون
الكثير واللذيذ أصبحوا محرومين حتى من كسرة الخبز اليابس .

وجد السلطان أن الجماعة ستفتك بالرعية فبحث عن طريق للخلاص . أطلق المنادين في

أنحاء البلاد ، داروها بلدة بلدة ، قرية قرية ، حارة حارة . كان القرار الذي نادى به هكذا :

— يا أهالي البلد! .. الحاضر يعلم الغائب! كل من قدم خدمة للسلطنة أو نفعاً للوطن ،

فليسرع إلى القصر ليقدم له مولانا السلطان وساماً .

نسي الناس جوعهم ، حرمانهم ، همومهم ، ديونهم ، مصاريفهم .. وهرعوا إلى السلطان

هائمين بأوسمتهم ... فلكل وسام حسب حجم خدماته .. وسام المرتبة الأولى مطلي بالذهب ،

وسام المرتبة الثانية بماء الذهب ، وسام المرتبة الثالثة بالفضة ، وسام المرتبة الرابعة بالقصدير ،

وسام المرتبة الخامسة مصنوع من التوتياء ، وسام المرتبة السادسة من الحديد ، وسام المرتبة

السابعة من التنك .. فهي أنواع .. الذاهب يحصل على وسام والآيب يحصل على وسام .

وبقي الحال على هذا حتى إنه ، من فرط صنع الأوسمة ، لم يبق في بلاد السلطان ذاك شيء من خردة حديد أو توتياء أو تنك . وكيف إن (الجُنْجُل) المعلق في رقبة البغل يصدر باهتزازة صوتاً (شِنْغَرُ شِنْغَرُ) هكذا أخذت الأوسمة تهتز على الصدور المنفوخة كالمنافيخ .
سمعت البقرة أن الأوسمة ، شنغر شنغر ، تترقع على صدور الناس ، وأن السلطان يمنح قاصديه أوسمة ، ففكرت :

— «الوسام في الواقع من حقي أنا!» .

ووضعت في ذهنها فكرة الحصول على الوسام .

وبالرغم من كون عمودها الفقري وقصصها الصدري نابقين ، وأنها تطب على الأرض كمن يزحف زحفاً ، فقد حضرت إلى باب القصر ركضاً . قالت لرئيس البوابين :

— أخبروا السلطان بأن البقرة تريد مقابلته .

أرادوا صرفها فأخذت تخور :

— لا أخطو خطوة واحدة من أمام هذا الباب قبل أن أواجه السلطان!

أرسلوا للسلطان :

— مولانا . بقرة من رعيتكم تسأل المثل بين أيديكم .

فاستدعاها :

— لتأت لئرى بأية حال هي هذه البقرة!

قال السلطان :

— خوري لئرى ما ستخورين به .

قالت البقرة :

— مولاي . سمعت بأنك توزع أوسمة ، أريد وساماً .

فصرخ السلطان :

— بأي حق ؟ ماذا قدمت ؟ ما نفعك للوطن حتى نعطيك وساماً؟

قالت البقرة :

— إذا لم أعطُ أنا وساماً ، فمن يعطاه؟ ماذا أقدم للانسان بعد كل هذا؟ تأكلون لحمي

وتشربون حليبي وتلبسون جلدي . حتى إنكم لاتتركون روئي ، بل تستعملونه . فمن أجل وسام

من التنك ماذا أعمل أيضاً؟

وجد السلطان الحق في طلب البقرة فأعطاها وساماً من المرتبة الثانية . علق البقرة

الوسام في رقبته . وبينما هي عائدة من القصر ، ترقص فرحاً ، التقت بالبغل :

— مرحباً يا أختي البقرة!

— مرحباً يا أختي البغل!

— ما كل هذا الانشراح؟ من أين أنت قادمة؟

شرحت البقرة كل شيء بالتفصيل . وإذ قالت إنها أخذت وساماً من السلطان ، هاج البغل ، وبهياجه ، وبنغاله الأربعة ، ذهب إلى قصر السلطان :

— سأواجه مولانا السلطان!

— ممنوع .

إلاً أنه ، وبعناده الموروث عن أبيه ، حزن وتعاطى على قائمتها الخلفيتين . أبى التراجع عن باب القصر . نقلوا الصورة إلى السلطان فقال :

— البغل أيضاً من رعبتي فيأت لنرى .

مثل البغل بين يديه ، أخذ سلاماً بغلياً ، قبّل اليد والثوب ، ثم قال أنه يريد وساماً .

فسأله السلطان :

— ما الذي قدمته حتى تحصل على الوسام؟

— آ .. يامولاي .. ومن قدم أكثر مما قدمت؟ ألسنت من يحمل مدافعكم وينادقكم على ظهره أيام الحرب؟ ألسنت من يُركب أطفالكم وعيالكم على ظهره أيام السلم؟ لولاي ما استطعتم فعل شيء .

أصدر السلطان ، إذ رأى البغل على حق ، قراراً :

— ليُعط مواطني البغل وساماً من المرتبة الأولى!

وبينا كان البغل عائداً من القصر بنعاله الأربعة ، وهو في حالة فرح قصوى ، التقى بالحمار . قال الحمار :

— مرحباً يا ابن الأخ .

قال البغل :

— مرحباً أيها العم .

— من أين أنت قادم ، وإلى أين ذاهب؟

حكى له البغل حكايته . قال الحمار :

— ما دام الأمر هكذا سأذهب أنا الآخر إلى سلطاننا وأخذ وساماً!

وركض بنعاله الأربعة إلى القصر . صاح حراس القصر : داه . جي .. لكنهم لم يستطيعوا

صده بشكل من الأشكال ، فذهبوا إلى السلطان :
— مواطنكم الحمار يريد الثول بين أيديكم . هلاً تفضلتم بقبوله أيها السلطان؟

قال السلطان :

— ماذا تبغي يا مواطننا الحمار؟

فأخبر الحمار السلطان برغبته . فقال السلطان وقد وصلت روحه إلى أنفه :

— البقرة تنفع الوطن والرعية بلحمها وحليبها وجلدها وروثها ، وإذا قلت البغل ، فإنه يحمل الأحمال على ظهره في الحرب وفي السلم ، ومن ثم فهو ينفع وطنه .. فيا حمار ، ماذا قدمت أنت حتى تأتي بحمرتك وتمثل أمامي ، دون حياء ، وتطلب وساماً؟ .. ما هذا الخلط الذي تخلطه؟

فقال الحمار وهو يتصدر مسروراً :

— رحماك مولاي السلطان . إن أعظم الخدمات هي تلك التي تقدم إليكم من رعاياكم الحمير . فلو لم يكن الألو ف من الحمير مثلي بين رعيّتكم ، أفكنتم تستطيعون الجلوس على العرش؟ هل كانت استمرت سلطنتكم؟ احمد ربك على كون رعيّتكم حميراً مثلي تماماً ، ومن ثم على استمرار سلطنتكم .

أيقن السلطان أن الحمار الذي أمامه لن يرضى بوسام من التنك كغيره ، فقال :

— ايه ، يا مواطني الحمار . ليس عندي وسام يليق بخدماتكم الجليلة ، لذا أمر بأن يُقدّم لك عدل من التبن يومياً من إسطلب القصر . كُل . كُل حتى تستمر سلطنتي .

وليس اللحم

لقاسم أفندي تصرفات غريبة . في قلب قاسم أفندي مكان واسع لحب الحيوان . في بيته قطع من القطط والكلاب . فثُ الخبز للحمام كان من أكثر الأعمال التي يقوم بها بهجة . لم يذق اللحم في حياته قط . كان يربي في حديقته كل أنواع الطيور الأليف .. لكنه كان يحب الكلب (قرّة باش) أكثر من الكل .. كان متفاهماً مع كلبه الذي بلغ الرابعة عشرة من عمره .. دون كلام يتبادلان الأفراس والأحزان . لم تكن له عائلة أو ولد .

أمضى مع قرّة باش أربعة عشر عاماً ، وعندما مات قرّة باش ، بعد مرض دام يومين ، حزن قاسم أفندي كثيراً ، لم يبق عنده ما يسلي همومه .. بكى عند رأسه أربعاً وعشرين ساعة .

يوم أتى به إلى بيته كان بحجم قبضة اليد . أخذ يعطيه الحليب على اصبعيه كما لو أنها رَصَاعة .. ولما صار قرّة باش كبيراً ككبيش ، لاح حيواناً جميلاً متفهماً وهادئاً أكثر من أي انسان .

أراد قاسم أفندي أن يقدم لقرّة باش آخر واجبات المحبة .. غسل الحيوان وسط الدموع بالماء الساخن والصابون كما لو أنه انسان . ثم انتقل إلى حارة لا يعرفه أحد فيها ، وأعلن للجيران واختار وإمام المسجد أن ابنه قد توفي . حملوا قرّة باش في جنازة كبيرة ، ولم يكن قاسم أفندي ليقتصر في صرف النقود ، أعطى الكثير منها للمتسولين والدعاة والإمام . وُضِعَ التابوت على حجر الصلاة في باحة المسجد .. ولما انتهت الإجراءات حُمِلَ إلى المقبرة .. وهناك وقعت المحنورات كلها .

لعب ذلك الحيوان اللعوب قرّة باش آخر ألعابه . إذ بينما كان المشايخ يهدثون روع قاسم أفندي الذي كان يرش المقبرة بدموعه ، وكان المقرئون يقرأون في الجانب الآخر . وما إن حاول اللحدان إنزال التابوت إلى القبر حتى لاحظاً شيئاً غريباً . كان قد انسل من ثقب عقدة خشب في جدار التابوت ذيل كلب طوله شبران . اللحدان ، من ذعرهما ، أسقطا التابوت من أيديهما . دهش الجميع . ولكي ينقذ الموقف قال قاسم أفندي :

— كان لولدي ذيل .

لكن أحداً لم يصدق أنه من المحتمل أن يكون لولد ذيل طوله شبران . فتحوا التابوت فوجدوا جثة قرّة باش .

وفي الحال وضعوا قاسم أفندي أمام القاضي . سأل القاضي ، الذي كان قد فهم الحكاية من أمام المسجد والآخرين ، قاسم أفندي :

— لماذا تكفنون وتجهزون كلباً كما الإنسان؟ أليس هذا مخالفاً للأداب ولأركان ديننا؟..

قال قاسم أفندي :-

— آه ياسيدي القاضي . لو كنتم تعرفون أي حيوان كان قرّة باش ، وما مزاياه ، لما كنتم ألقمتم عليّ باللوم .

— وماذا يمكن أن تكون مزايا كلب حتى تدفنه في المقبرة ؟

— أولاً : كان صادقاً .. كان يحفظ عملاً جميلاً ، كنتقديم عظمة له ، حتى مماته . لم يكن يؤذي أحداً . كان شجاعاً ، كان جميلاً ..

— هذه ليست مسوغات !

بدأ قاسم أفندي الذي ارتبك أمام القاضي يعدد الأعمال الحسنة التي كان يقوم بها هو نفسه ، على أن قرّة باش كان يقوم بها .

— كان خبيراً ، محسناً .. كان يدفع الزكاة عن أمواله .. كان يدخل الهجة إلى قلوب الفقراء..

— مستحيل !..

— حتى أنه أقام في حياته سبيل ماء .. قدم للجامع سجادتين هدية .

صرخ القاضي :

— أنت مجنون ؟ وهل يستطيع كلب أن يفعل هذا ؟

قال قاسم أفندي الذي أخرجته الموقف :

— كان كلباً ! لكنكم لاتعرفونه على أي حال .. حتى إنه قبل مماته سلمني ربه ..

احتد القاضي :

— ولاه ، مجنون ، أوتظن الناس مهاييل مثلك ؟ وهل يوصي كلب ؟

عندئذ قال قاسم أفندي :

— سيدي القاضي . لقد أوصى ... صدقوني . لقد قال لي أن أعطي أمواله للفقراء ..

وأخرج قاسم أفندي كيساً من زناره :

— حتى أزه أوصى بأن تُعطى هذه الليرات الذهبية الخمسمئة لجناب القاضي .

دمعت عينا القاضي ... وقال : -

— رحمة الله عليه ... أكْمِلْ قاسم أفندي أكمل .. لتنفذ وصية المرحوم .. ففي ذلك

ثولب كبير .

وَرَاقِ الصُّبُورِ

كان في قديم الزمان رجل غني يدعى أحمد بيك ، أمواله أتعبت ألسنة الفقراء ..
نقوده وأملاكه حكاية على كل لسان . هذا الغني أحمد بيك لا يشبه الأغنياء الآخرين ، فهو
سمح ، كريم ، مضياف ، يساعد العجزة . بقدر ما عنده من أموال بقدر ما يأتيه . بقدر ما في
البحر من رمل مع أحمد بيك من النقود ، شيء لا ينفذ ولا يستهلك . له على البوسفور عدة شاليهات ،
وفي الطرف الأناضولي من إسطنبول قصور ، في وسط المدينة بيوت ، وفي القريب والبعيد
مزارع . الله يعطي أحمد بيك .. يعطيه .

مرة كان أحمد بيك ماشياً ببطء في طريقه إلى مضافته في (شيخ زادة باشي) ووراءه
وكيله .. وكمن يطارد بعوضة كان يتلفت يمينا ويساراً على المارة ويرد سلاماتهم ، ويدعو كل من
يلتقيه ، يعرفه أو لا يعرفه ، إلى تناول الإفطار عنده .

دنا من الخيمة إلى جانب السبيل التي كان الإسكافي محمد آغا المحروم يعمل فيها ، سلم
عليه ، سأله عن أحواله . فأخذ الإسكافي العجوز يرد على كل عبارة من العبارات أحمد بيك
بعبارة «الله يطيل عمرك ياسيدي» .

— ألدريك عمل كثير الآن يا محمد آغا ؟

— هذه الرقعة التي بيدي وأنتهي .

— أنها لنفطر معاً .

وانتظر أحمد بيك الغني حتى أنهى محمد آغا المحروم الرقعة لنعل العتال الذي كان ينتظر
وراء باب الخيمة . أغلق محمد آغا المحروم خيمته ومشوا على الطريق ، كانت المضافة عامرة بالمعزومين على

الإفطار ، غرف الضيوف مفروشة بالسُّفر ، وجموع النساء في جناح الحرم ، وقد التف الجميع حول المناسف النحاسية . انطلق المدفع .. افطروا ، كلوا ، اشربوا .. وبعدها صفق أحمد بيك الغني بيديه لوكيله الذي صار بالباب :

— ياوكيل ! أعط محمد آغا ليرتين فضيتين .

— على راسي ياسيدي .

كانت العادة في تلك الأيام أن يعطى لمن يأتي للإفطار عند الأغنياء أجرة الفرس . وضع الوكيل في يد محمد آغا ، عند باب المضافة ، أثناء خروجه ، ليرة فضية ، فدهش محمد آغا المحروم وقال :

— دحيلك يا وكيل أفندي . أذناي تسمعان جيداً . البيك على ما أعتقد لم يقل ليرة

واحدة ، قال ليرتين .

أخذ الوكيل الحانق للغاية من يد محمد الليرة الفضية التي أعطاه إياها وقال له :

— واخ ! أيها الجاهل حدود نفسك . نال فتكبير !

وطرده خارج الباب بالضرب والرفس . لوى محمد آغا المحروم رقبتة للحظة ، ومضى إلى

كوخه .

مساء اليوم التالي توقف أحمد بيك الذي كان في طريقه إلى مضافته يسلم على المارة ويرد

سلاماتهم وكأنه يطارده بعوضة ، ووراء وكيله ، توقف قدام خيمة محمد آغا المحروم :

— هيا محمد آغا . تفضل معنا على الإفطار ، لنفطر مما أعطانا الله .

كان محمد آغا سيرفض بسبب (التعفيسة) التي تعرض لها مساء البارحة من الوكيل ..

لكن أحمد بيك الغني أضاف :

— البارحة لم نقعد ونتحدث ، لايمكن إلا أن تأتي !.. قالها بإصرار .

خرج محمد آغا المحروم وراء أحمد بيك .

أكل وشرب من جديد . ومضى زمن ، وقف محمد آغا يطلب الإذن بالانصراف ،

فصفق أحمد بيك بيده ثلاث مرات ، وقال للوكيل :

— يا وكيل . أعط محمد آغا ثلاث ليرات فضية .

وإذ كان محمد آغا المحروم خارجاً من الباب دس الوكيل في يده ، ليس ثلاث ليرات ،

ولكن ليرتين . قال محمد آغا المحروم برقية مائلة :

— يا حضرة الوكيل . خوفي من أكون قد سمعت على نحو خاطيء البارحة جعلني أهدف

السمع جيداً الليلة .. لقد سمعت أحمد بيك يقول ، بوضوح ، أن تعطيني ثلاث ليرات . لماذا لا تنفذون أمر البيك ؟

فقال الوكيل وقد غلى وفار :
انظر إلى السافل ! واخ يا قواد واخ ! نال فتكبير !..وأخذ الليرتين من يد محمد آغا المحروم وطرده بالرفس وضرب الكفوف .

مضى محمد آغا المحروم وقد خانه حظه إلى كوخه .
في المساء التالي حصل ما كان يحصل . أتى أحمد بيك الغني إلى خيمة محمد آغا وعزمه على الإفطار . لم يجيب محمد آغا المحروم الذهاب من خوفه من الوكيل ، لكنه ، ومن فرط ما رجاه أحمد بيك ، لم يشأ كسر خاطر هذا الغني الشهم . بعد الإفطار صفق بيده وقال :

— أعطه أربع ليرات !
ومن جديد أعطاه الوكيل المبلغ ناقصاً . أراد محمد آغا أن يحصل على الليرات الأخرى فقال للوكيل :

فضيات .

فأخذ الوكيل الليرات الثلاث التي أعطاه إياها ورواه في الشارع .
مساء اليوم الرابع أسرع وراء أحمد بيك عندما دعاه للإفطار كي يشكو الوكيل إليه .
أكل وشرب كما في كل موعد إفطار ، وعندما استأذن محمد آغا بالانصراف صفق أحمد بيك بيديه ونادى الوكيل ثم وضع إحدى يديه على كتف محمد آغا المحروم وسجبه إلى غرفة ما فيها أحد ، وقال له :

— خلنا نتكلم على انفراد يا محمد آغا !

— تفضل ياسيدي .

عندي مال وأملاك بقدر العالم . نقود لأتحصى يا محمد آغا . ليس مائة عام ، لكن لو عشت خمسمئة عام أكل وأشرب ، ولو أطعمت وأشربت خمسمئة ألف رجل ، فان نقودي لاتنفد . كل عمل أضع يدي عليه ينجح . أمسك التراب فينقلب ذهباً . في الحقيقة ، لقد ضحك لي حظي كثيراً ..
والآن ، لي عندك رجاء ..

— لأستطيع تكليف غيرك بهذه المهمة باعتبارك مكتمل الدين ، نظيف الطوية .
اخرج إلى ماوراء السور في (طوب قاني) ، هنالك ، خلف المقبرة ، جبّ . انده في فتحة الجب ثلاث مرات قائلاً «ياحظ أحمد بيك الغني» وعندها يخرج لك حظي . سلم عليه وأسأله

أن لا يعطيني شيئاً البتة . ليعط ما سيعطيني إياه للفقراء . ليرتج الآخرون أيضاً . خذ هذه الليرة الذهبية ونفذ ماقلته لك .

خرج محمد آغا المحروم بعدما وضع الليرة الذهبية التي أعطاه إياها أحمد بيك في جيبه وهو يردد :

— على راسي !

وبعدما خرج ذهب الى جب الحظ الذي دله عليه أحمد بيك الغني . وضع كفيه على فمه كبقوق وصرخ :

— يا حظ أحمد بيك الغني .. يا حظ أحمد بيك الغني . يا حظ ..

فقطع له رجل وسيم عليه فراء سمور ، وفي أصابعه خواتم من الذهب والبلاتين وفصوص من الياقوت والزمرد :

— تفضل ! أنا حظ أحمد بيك الغني . هل ناديتموني ؟

— نعم ياسيدي . لقد أرسلني إليك أحمد بيك الغني . يسلم عليك ويقول لك .. وأخبره بما قال أحمد بيك الغني . ولكن ، قبل أن ينهي كلامه رفع حظ أحمد بيك الغني يده ووصاح :

— مستحيل ! ولا بأي شكل من الاشكال . قل لأحمد بيك أن لا يجزن ولا يقلق . ما أعطيته له حتى الآن لأشياء . ما سأعطيه إياه سيكون من الآن فصاعداً . سيصبح الواحد بيده ألفاً فليرتج ويأكل مع أولاده ويتنزه ويسافر ويمرح .. قال حظ أحمد بيك الغني قوله هذا واختفى .

دهش محمد آغا المحروم وقال لنفسه :

— ما هذا ؟ ما هذا كله ؟ فقير مثلي يعمل في الليل والنهار ولا يرى ثلاثة قروش مجتمعة ولا يولف الرأسين معاً .. وفي المقابل غني بقدر الدنيا يقول «كفى» ، لأريد أي مزيد» فيعاند حظه قائلاً : «مستحيل .. بل سأعطيك» ؟

وإذ كان محمد آغا المحروم يفكر هكذا ، أتاه خاطر :

— بما أنتي تعرفت على هذا المكان ، وأتيت إلى فوهة جب الحظ .. فلأناد حظي ، ولأنوسل إليه وأتحرق ، عله يضحك لي .

ووضع فمه في فتحة الجب وصاح :

— يا حظ محمد آغا المحروم .

ثلاث مرات . سمع صوتاً يأتي من قعر الجب يقول :

— دُدُدُدُم .. لا أعطي .. لا أعطي .. دُم .. لا .. دُدُم .. لا أعطي .
وخرج له رجل بيده طنبور . أي رجل ذلك الرجل ! طوله شبران في ظهره حذبة
ضخمة ، أعرج ، أعور ، أكنع ، قبيح ، لاهية له ، وسخ ، مقلوب الحلقة .. وأخذ يحجل
ويصور حول محمد آغا ويعرف على طنبوره ويعني :

— دُدُدُدُم .. لا أعطي .. دم .. دددم .. ماذا ؟ هل ناديتني ؟

— أنا محمد آغا المحروم .. من أنت ؟

— أنا حظك الأعور . ناديتنا فأيتنا .. دددم لا أعطي .. دم لا أعطي .. دم .. دد دم لا
أعطي دم لا أعطي ..

فأخذ محمد آغا المحروم يستعطف حظه :

— يا حظي الأعور ! يا حظي الأصعب ! انظر .. ها أنتذا ترى حالي . عمري سبعون عاماً ،
شغلي واقف . بلحيتي البيضاء أهم بلا وجهة . اشتغلت عمري كله بلا كلل ، ليلاً نهاراً ،
فماذا جنيت ؟ لم أضحك يوماً ، ولم أولف الرأسين معاً مرة واحدة .. هيه . أحب حديثك
يا حظي الأعور يا حظي الأقرع ، يا حظي الأجم .. أتوسل إليك ، لم يبق من عمري سوى
القليل .. أرجوك أضحك لي . اضحك لأرتاح في الأيام القلائل التي أُعتبرُ فيها ضيفاً على
الحياة .

فقال حظ محمد آغا المحروم :

— واه واطي ؟ انك تتدلل لأنك أخذت ليرة ذهبية .. رفعت الكلفة ؟ أهكذا إذن ؟
دددم لا أعطي .. دُم .. لا أعطي دددم لا أعطي .. كنت أستطيع منعك من أخذ الليرة
الذهبية ، لكن احمد ربك ، كنتُ أثناء ذلك أصلح وتر الطنبور ، ولولا ذلك ، في حياتك
كلها ، يستحيل أن ترى ليرة ذهبية . أفهمت أيها الأهل المسكين !؟

واستمر حظ محمد آغا يعزف على طنبوره ويقتل حوله ويعني :

— دم لا أعطي دم .. لا أعطي ..

ثم غاب .

انحنى محمد آغا على فوهة الجب وتوسل عله بتوسله يلين قلبه حظه الحجري .. و ..
طُب ! سقطت الليرة الذهبية التي في زناره في الجب .. بينما كان قعر الجب يردد صدى
قهقهة :

— دددم .. لا أعطي .. ها ها ها .. لا أعطي .. دم ...

قصة الربيعي

كان ياماكان في إحدى الدول ، امرأة ورجل ، يقدر ما كانا ثريين ، كانا يتجملين . في بيت كالكصر ، لايعيش معهما سوى خادم يتجمل مثلهما .
ولأن هذا الخادم كان خادماً خالصاً ، غير مزاد بقطرة ماء واحدة ، فقد كان ينفذ ما يتفضل به سيده وسيدته من أوامر ، دون أن يفكر في مدى صحته .
وفي يوم قال السيد للخادم :

— اذهب إلى البازار واشتر لي طاساً من العسل ...
ولأنه كان خادماً بنسبة مائة بالمائة ، صافياً ، ما عنده تدبير ذاتي ، فقد انحنى حتى لامس الأرض قائلاً :

— على رأسي ياسيدي .
وركض إلى البازار مسرعاً .
ولكي يوفر على سيده الربيعي ، فقد بحث عن طريقة لحوزقة البائعين المساكين الفقراء .
سأوم بجدة ، وفي النهاية اشترى طاس عسل كبيراً ، بسعر لايجاري في انخفاضه ، من بائع عجوز لم يستفتح في ذلك اليوم . كان البائع العجوز مرغماً على بيع العسل للخادم بأقل من رأسماله ، كي يحصل على بضعة قروش .

وبينما كان في طريقه إلى البيت ، فرحاً بكونه خادماً غير مضاف قطرة ماء واحدة ، وما عنده تدبير ذاتي ، وقد حوزق بائع العسل المسكين ، وأريح سيده .. صادف امرأة مسكينة

مزرقة الثياب . أخذت المرأة تتوسل إليه :
أعطني لحسة غسل من الطاسة التي بيدك . ولدي مريض ، والأطباء أكدوا لي أنه إذا لم
يتناول ملعقة من العسل فسيموت .
وبما أنه كان خادماً غير مشوب بشيء آخر ، وما عنده تدبير ذاتي ، فقد مد لها لسانه ،
وقال هازئاً :

— برط برط !

فقالت المرأة المحروقة فؤادها على ابنتها المريض :

— رُح ، ليصبح لسان كل من سيتذوق غسل هذا الطاس ، من السادة ، والسادة
لأعلى منهم ، ومن خدمهم ، وكافة الخدم ، مثل لسانك .. وليبرطعوا !
ضحك الخادم من المرأة وقال :

— برط .. برط ...

قبل أن يدخل البيت ، ولكي يتذوق طعم العسل قبل سيديه ، أخذ شيئاً منه بإصبعه
ولحسه . ثم وضع طاس العسل أمام سيده وسيدته اللذين كانا جالسين إلى المائدة ينتظرانه :

— لعلك لم تشتري العسل غالباً ياه ؟

فأجاب الخادم غير المخلوط بشيء :

— لا ، برط ، لم برط ، أشتره برط ، غالباً برط . اشتريته برط ، رخيصاً برط .. جداً

برط .

دهش السيد من برطمة خادمه . قال :

— ماذا دهاك ؟ .. لماذا تبرطم هكذا ؟

— بعد إذ برط ، أخذت برط ، لحسة برط ، غسل برط ، أصبحت برط ، هكذا برط .

تناولت السيدة لحسة من العسل وقالت :

— ما به برط ، هذا برط ، العسل برط ؟ إنه برط ، غسل برط ، على برط ما برط يرام

برط .

صاح السيد غاضباً :

ماذا جرى لكما حتى صرتما تبرطمان؟

وأخذ لحسة من العسل وأضاف :

— ما به برط ، هذا برط ، العسل برط ؟ إنه غسل برط على برط ما برط يرام برط .

أصبح السيد والسيدة والخادم لا يستطيعون التكلم دون أن يضيفوا كلمة (برط) وراء

كل كلمة يقولونها

— هيا برط نأخذه برط إلى رئيس البلدية برط .

ذهبوا إلى رئيس البلدية حاملين العسل . حكوا له مبرطين ما جرى فقال رئيس

البلدية :

— الله الله !

وأخذ منه لحسة ، ثم قال :

— ما به برط هذا برط العسل برط ؟ إنه برط عسل برط على برط ما برط يرام برط .

قالوا :

— لنذهب برط إلى القاضي برط .

وذهبوا إلى القاضي وحكوا له ما جرى لهم أخذ منه لحسة وقال :

— الله الله ! ما برط هذه برط الشغلة برط ؟ إنه برط عسل برط عادي برط . تعالوا برط

نأخذ برط هذا البرط عسل برط إلى برط حضرة برط المحافظ برط .

ذهل المحافظ عندما رأى مجموعة من الناس يبرطمون أمامه . أخذ لحسة من العسل

ليرى ، ثم قال :

إنه برط عسل برط جيد برط

كبرت المسألة كثيراً حتى شملت شيخ الإسلام ، القائد العام للجيش ، الوزراء ..

صاروا يتذوقون العسل فييدون بالبرطمة ...

وهكذا حتى وصلوا إلى رئيس الوزراء . قالوا له :

— حلوا برط لنا برط لغز برط هذا برط العسل برط !

تناول رئيس الوزراء لحسة من العسل وراح يبرطم . ذهبوا إلى سيد القوم الملك :

— دخليكم برط ياسيدنا برط الملك برط .. خذوا برط من برط هذا العسل برط لحسة

برط .

أخذ الملك لحسة من العسل وهو مندهش من واقع هذا الحشد من المبرطين ، ثم بدأ

يحكي مضيفاً كلمة برط وراء كل كلمة يقولها :

— أيش برط به العسل برط ؟ إنه برط عسل برط على برط ما برط يرام برط .

ولكي يتوصلوا إلى حل للغز العسل باشروا التحقيق . استمر التحقيق حتى وصل إلى

الخادم غير المخلوط الذي ما عنده تدبير ذاتي . وعندما حكى لهم الخادم غير المزارد بأي ماء

الحكاية وهو يبرطم ، بدأوا البحث عن المرأة الفقيرة التي دعت عليهم . قال لها الملك :

الحارث بن زهير

كان ياما كان في قديم الزمان، في إحدى الدول . الغريال في التين . وكان ملك . كان عند هذا الملك ، مثله مثل كل الملوك ، كل في زمانه ، من العازفين ومن الراقصات ، مثنى حماس وعُشار . كان عنده جوار وخيليات .. كان عنده خدم ، ماسحو جوخ . وكذا وكذا . كان ملك تلك الدولة ، مثله مثل ملوك كل الأزمنة والأمكنة ، يقوم بالأعمال الهامة جداً : حضور مراسم الافتتاح ، استعراض العروض الرسمية ، قراءة الخطب التي يكتبها الغير ، التجوال ، السياحة .. وإذا فرغ فإنه يجد وقتاً يذهب فيه للصيد .

ولأن ملك تلك الدولة المهووس بالصيد كان من النوع الذي يتأثر برطوبة النسيم ، فقد كانت توضع له حيوانات معينة ، مرباة على نحو خاص ، في غابات خاصة .
ينادي الملك كبير المنجمين ويسأله :

— كيف سيكون الطقس اليوم ؟

فيجيبه كبير المنجمين في كل مرة :

— صاحب الجلالة ، مولانا ! بمشيئتكُم سيكون طقس دولتنا في النهار مشمساً ..

سيكون الطقس يا مولاي مثلما تشاؤون وتأمرؤن .

لكن الملك ، مثله مثل كل الملوك ، كان ظنوناً ، لا يثق بكبير المنجمين . يسأل رئيس

الوزراء :

— كيف سيكون الطقس اليوم ؟

فينحنى رئيس الوزراء العجوز المبيض حتى شعر أذنيه بلحيته الواصلة إلى زناره حتى يصل الأرض

ويقول :

— يجب أن يكون رائعاً ، بمشيتكم ، في مملكتنا وفي خارجها .. الجو السياسي ،
والأجواء الأخرى جيدة ماشاء الله !

يسأل الملك الظنون وزراءه عن حالة الطقس فيجيبونه بدورهم :
— الأفق وردي .. السماء صافية .. لآحرمتنا الله منكم .. مادمتم موجودين فهل يحدث غير
ماتشاؤون ؟

وإذ ذاك يصدق الملك رجال العلم والدولة ومشيته وقدرته .. يحمل أدوات الصيد على
ظهور خدم مخصصين لهذه الغاية ، ويخرج . يمشي رجال الدرك في المقدمة ، يليهم الجندرمة
كقوات حماية ، وعلى الجانبين حرس ، انتحاريون ، استطلاع ، قوات خاصة ، مدنيون ،
رسميون .. وسط كل هؤلاء يذهب الملك لصيد حيوانات خاصة ، مرابة على نحو خاص ، في
غابات خاصة ، مُراقفًا بالهتاف والمرح .

راح يوم جاء يوم .. سأل الملك كبير المنجمين ، رئيس الوزراء ، الوزراء ، حضرة شيخ
الاسلام ، رئيس الديوان ، رئيس قسم الحرم ، رئيس شعبة المراسلات .. سألهم واحداً واحداً ،
حسب تسلسل مراتبهم ، عن حالة الطقس في ذلك اليوم . ولما أتاه الجواب :

— بمشيتكم مولانا سيكون طقس اليوم أروع من طقس البارحة .

خرج .

كانت الطرق التي سيمر منها قد فُتشت قبل شهر من مروره بها ، وكان قد طُرد كل من
كان على الطريق من الأهالي .. لكن لاندرى كيف أغفل قرويٌّ مع حمارة تحت شجرة .
والملك لم يكن قد رأى قروياً طيلة حياته ، لذلك لم يستطع تمييز هذا الكائن الخافي ذي
الثياب الرثة . سأله :

— ماأنت ؟ حماد أم جنني ؟

— لآحماد ، ولآجن .. أنا بشر مثلك .

هكذا أجابه .. غضب الملك وصرخ :

— ماهذا الخلط ؟ لآيمكن أن تكون كائنات مثلك من جنسي .. أقطعوا رأسه .

رفع كبير الجلادين سيفه فوق القروي ذي الرقبة الأرفع من شعرة لينفذ أمر الملك . وماكاد
يُعملهُ فيها صاح الملك :

— ق ... ف ! أيها الكائن الذي يشبه كلامه كلامَ البشر إلى حد ما .. سأسألك

سؤالاً ، إذا عرفت جوابه فسأعفو عنك : كيف ستكون حالة الطقس اليوم ؟

قال القروي :

— بعد قليل ستهب الرياح ، وستعصف العواصف ، وسينهمر المطر .. السيول ستجرف كل شيء .

صرخ الملك الذي بدأ يفور غيظاً من هذا الكلام :

— ولا خاين ! ألا تعرف أنه بدون مشييتي لا يمكن للطقس أن يتبدل ؟ كيف يهطل المطر والملك في الصيد ؟ .. اربطوه بذيل البغل .. هيا !

ربطوا حمائر القروي بذيل البغل ، وربطوا القروي بذيل حماره ، ومشوا على الطريق . لم يقطعوا مدى رصاصة إلا وكانت السماء قد تلبدت بالغيوم واسودت ، وأخذ البرق يقدح والرعد يقصف والصواعق تضرب . هبت عاصفة ونزل مطر . العاصفة كنست كل شيء والسيل جرف كل شيء .

نجا الملك بنفسه بصعوبة وأوى إلى القصر . غضب إلى حد أن أمر بعزل من أعطوه تقرير الطقس على نحو خاطيء : كبير المنجمين ورئيس الوزراء والوزراء . وبُخ الجميع ، قطع رؤوس البعض . ثم طلب القروي الذي أخبره بأن حالة الطقس ستتردى ليملئ بين يديه .. قدم خاتم رئاسة الوزراء للقروي الذي كان منهاكاً يرتجف من البرد وقال :

— عيتكك رئيس وزراء

بعدها صار القروي رئيس وزراء لمدة من الزمن تفكّر الملك بالأمر ثم استدعى رئيس الوزراء القروي فمثل هذا بين يديه . سأله :

— كيف عرفت أن المطر سيهطل ؟

— أجابه القروي :

— تحت أمر مولانا !.. عندما أنظر إلى أذني حماري أعرف كيف ستكون حالة الطقس . أذنا حماري تهتلان إذا كان المطر سيهطل ، فأعرف أنه سيهطل . قال الملك في سره :

— أية جهالة ؟! هذا يعني أن الحمار هو الذي عرف حالة الطقس ، وليس القروي .

كل هؤلاء الوزراء ورئيس الوزراء وغيرهم لا يعرفون بمقدار ما يعرف الحمار . لقد هضمت حق الحمار المسكين .. ليس القروي من يجب أن أعينه رئيساً لوزراء .. بل حماره .

وفوراً عزل القروي وعين حماره مكانه .

صار إذا نهق الحمار بعذوبة يعرف أن الجو سيكون رائقاً ، وإذا هدلت أذناه سيكون مطراً ، وإذا لاح بذيله سيكون عاصفاً .

صار الملك يعلن الحرب ، يخرج للتنزه ، السياحة ، الصيد ، بعد أن ينظر إلى أذني

رئيس الوزراء الحمار أو يستمع إلى نهيقه . لم يعد يخرج عن نهيق الحمار أبداً .

حصّة الأسد

كان ياماكان ، في قديم الزمان ، الغريال في التبن .. وكان أسدّ في غابة ، قانونها سائد فيها .. حيوانات الغابة كلها تحت سيطرة ذلك الأسد .. فرض ضريبة على كافة الحيوانات ، من الخملة الى الفيل ، والطير والذئب ، كلها تدفع الضريبة . اسم هذه الضريبة (حصّة الأسد) . حيوانات الغابة جميعها تعمل ، تكدح ، تشقى ، يتعرق ماتحت ذيوها ، لتقطع من سيدها أفضل قطعة ، وتقدمها كضريبة (حصّة الأسد) . أفضل الإجاص لإياكله الدب ، بل يعطيه للأسد . يقدم الذئب كبد الغزال الذي يصطاده للأسد ، وإذا علق ديك بأنياب ثعلب يصبح الثعلب مضطراً لاعطاء ألدّ قطعة منه وهي (الزور) للأسد .

بتمطرق الأسد في القصر ، يأكل ويشرب مرتاحاً مسروراً ، وسط الراقصين والمنافقين من القرد ، والحكماء والعلماء من البيغاوات ، والمطربين من الغريان . أحياناً يخرج ، ليقوم بعمل من جهة ، وليبيب رعيته من جهة أخرى ، فيستعرض جسمه ، يلوح بذيله يلحق شاربيه ؛ يزأر مرة أو مرتين ، ثم يعود إلى القصر ليغوص في ملذاته .

وخوفاً من أن تضع الحيوانات عقوبها في رؤوسها وتثور يوماً ما ، ومن قبيل الخيطة ، وضع الأسد في قصره كلاباً للحراسة . ولأن ما كان يأخذه من الحيوانات كضريبة (حصّة الأسد) كان كثيراً جداً ، فقد كان يرمي فضلاته للكلاب الحارسة القصر .

راح يوم جاء يوم .. اندلعت في احدى الغابات المجاورة ثورة . الحمامات جلبن الخبز بأجنحتهن .. إذ ذاك أيقنت الحيوانات أن الأسد على باطل . رفعت البلايل أصواتها أولاً :

— لماذا نعطي (حصّة الأسد) لأسد مسنّ هفتان ؟

وراحت تفرق وتأنو : حق ، عدالة ، حرية ، مساواة ! ..
سمعت كلاب الأرقعة نجوى اللابل فركضت لكونها مكلفة بهذا العمل ، وأخبرت كلاب
الفينو بالأمر . نحت كلاب الفينو منادية الكلاب الذئبية الأضخم منها ، الكلاب الذئبية
لرؤسائها من كلاب الرعاة .. دوايك حتى وصل الخبر إلى الأسد حاكم الغابة .
تفكر الأسد بالأمر ، ثم اهتدى إلى طريقة تساعد على فرط الموضوع بالحسنى . أصدر
أمره إلى كلب صيد من كلابه بأن ينقل للابل هذا البلاغ :

— إي ، يارعاياي اللابل .. تسرت — على ماسمعت — أخبار مفسدة من الغابات
الأجنبية إلى غابتنا التي تعيش في هناء ، هدفها أن ترزع الوحدة والتلاحم السائدين في غابتنا .
وها أنتم أولاء بدأنم تفرقون (حرية) . يارعايا اللابل ذوات الأصوات الجميلة ، حطوا عقولكم في
رؤوسكم ! ... لماذا تثرثرون وتحرضون حيوانات الغابة وتعملون على إثارة الفتنة بدلاً من أن تفرقوا
وتغردوا فوق شجيرات الورد ؟ تعالوا جميعاً إلى القصر ! .. سلوني بأغانكم العذبة ! ذلكم هو
الفن ! .. وأنا أعطيكم من حصة الأسد ما يشبعكم وإذا كان بينكم محبون للحرية لا يفضلون
الحجىء الى القصر فليثرثروا بقدر ما يشاؤون للورود ، وأنا أرضيهم من (النفقات المستورة) .. أما
إذا كان بينكم من يصرُّ على ارتكاب خلاف هذا ، فإن العدالة ستأخذ مجراها .. ومخلمي
يظالكم جميعاً !

فور سماع هذا الخبر ركض معظم اللابل الى القصر . وضعها الأسد في أقفاص ذهبية
وخصص لها شيئاً من (حصة الأسد) .. وقد بدأت ، كي تسلي سادتها وتفرح قلوبهم ،
تمتدحهم وتغرد لهم .

وانقطع الصوت والنفس في الغابة . وبالرغم من كل ما كان يحصل ، بقي بعض بلابل في
الغابة ، عاندت وقالت «القفس قفص .. سواء كان ذهبياً أو حديدياً» .. وترنمت :

— يا عذابك أيها اللبليل .. يا عذابك !

نقلت الكلاب النبأ إلى الأسد بهز ذيوها ، فانفض الأسد حانقاً .

— لم يبق عليّ حق .. بلاء اللابل في ألسنتها . لتقطع ألسنة اللابل التي لم تسكت !
ولدى صدور قانون الغابة الجديد هذا صاروا ، كلما قبضوا على بلبل يتأنو ، قطعوا
لسانه . صارت اللابل المقطوعة الألسنة تشكو همومها وعذاباتها بإشارات من الأعين
والحواجب . منعت إشارات العيون والحواجب ، ثم أصدر الأسد ، بعد أن أيقن أنه لا يمكن
الوقوف في وجه اللابل المقصوصة الألسنة ، قانون غابة جديداً يقضي بقطع رؤوس المتمردين .
أصبحت الغابة ساكنة ، ساكنة ، لكن ماذا تعمل الكلاب ؟ يجب أن تعمل حتى

تأخذ من حصاة الأسد على حسب العمل الذي تقدمه للملك ، ولتترق وترفع .
بدأت تمجول في الغابة .. لاشيء ، لا يمكن سماع همسة ، لكن مع ذلك يجب أن توجد
بعض الأشياء . ولكي تعرف ما إذا كان ما يزال ثمة بلابل محبوبة ، هدامة ، دارت الكلاب في
أرجاء الغابة .. وبعد بحث وتدقيق قام بهما كلب صيد و كلب فينو ، وجدا بلبلاً واقفاً على غصن
شجيرة ورد . كان البلبل المسكين لا يستطيع أن يغرد أو حتى أن يغمز . كان ، من كبر همه ،
يفرس الشوك في صدره فيقطر دمه على الوردة وتنسب من عينيه قطرات ناعمة من الدمع . فكرا
بحيلة بغضبان بها البلبل ليجعلاه يتكلم حتى يخبرا الأسد بذلك ويستفيدا .

قال الفينو :

— لماذا يأخى البلبل نعمل ونشقى ثم نطعم الأسد ؟ ماهذا الإجحاف ؟ ماهذا

التفريق ؟

لم يبيع البلبل حيلة الكلبيين لكن كلب الصيد و كلب الفينو نبحا وبكيا ، فلم يعد البلبل
يطبق صبراً فخرجت من فمه كلمة واحدة :

— صحيح .

— ماذا ؟ صحيح ؟

وركضاً بأقصى ما يستطيعان . أخبرا الأسد بذلك . قال الأسد :

— أمسكوه . من يمسكه أجعله رئيس حرس القصر .

ركض الكلبان إلى البلبل . نبح كلب الصيد قائلاً :

— يأخى البلبل ! إنك تتعب نفسك ولسانك ليلاً نهاراً من أجل توعية إخوتنا

الحيوانات في الغابة . واضح أنك مرهق للغاية . نم هنا وارنح ، ونحن نحرسك فلا يستطيع أحد
أن يلمس منك ريشة .

صدق البلبل المسكين هذا الكلام ، إذ استطاع كلب الصيد التظاهر بالتأثر ، وكان

البلبل قد أمضى أياماً دون نوم ، فصدق . أعغمض عينيه ، ومجرد إغماضهما غط في نوم

عميق . فهل يقف كلب الفينو ؟ هررت ! .. أمسك البلبل من جناحيه . عرف البلبل أنه وقع

في الفخ لكن ماذا تجديبه هذه المعرفة بعد أن صار ومُسك من جناحيه ؟

أخذ كلب الفينو البلبل في فمه وركض ، ركض حتى يصل إلى القصر قبل كلب الصيد

وينال المكافأة من الأسد ، لكن هل يقف كلب الصيد الذي كَلِب من فرط غيظه ؟ لحق

بالفينو ، نصب له شركاً كي يأخذ البلبل من فمه . قال له :

— يأخى الفينو ! تمهل قليلاً حتى نصل كلانا إلى حضرة سيدنا الأسد وننبح معاً

لنأخذ البشارة .

ولما تمهل الفينو انقضَّ كلب الصيد على ذيله . صار جناحا البلبل في فم الفينو ، وذيل الفينو بين أنياب كلب الصيد . فكر البلبل بخدعة ينقذ فيها نفسه من الكلبين . قال :
— يا أخوتي الكلبين . لقد قبضتُما علي .. ومن ذا الذي يعرف ماذا سيقدم لكما سيدنا لقاء هذه الخدمة ؟ تعالا ، بدلاً من الهدية التي سيعطيكما إياها ، نُدعُ لسيدنا الأسد بطول العمر ونصفق له !..

شك الكلبان في الأمر ، لكنهما ، من خوفهما من أن يقال إنهما لم يدعوا لسعادة سيدهما ، ولم يصفقا له ، وفي مثل هذه الحالة قد يشي أحدهما بالآخر .. كانا مضطرين إلى تنفيذ ما اقترحه البلبل ..

لكي يصفق كلب الصيد أفلت ذيل الفينو من بين أنيابه .. ولكي يدعو الفينو للملك فتح فمه و .. فرر . طاز البلبل وحط على غصن وردة .

وهنا أطلق البلبل ، لأول مرة في حياته ، شتيمة كبيرة . قال :

— الذي يصدق كلام الكلب بعد اليوم فهو ...

ونبح الفينو الذي خسر صيده قائلاً :

— الذي يصدق كلام البلابل فهو .. والذي يدعو فهو ..

شتم كلب الصيد بتعقل قائلاً :

— والذي يصفق لسيده قبل أن يقبض المكافأة فهو ...

في أحرار الذممة

كان ، في أحد الأزمان ، في إحدى الدول ، رئيس . عُرف ذلك الرئيس في تلك الدولة وذلك الزمان بخاصية .. ألا وهي : ملء دولته بالمخبرين . من بين كل ثلاثة مواطنين كان ثمة مخبر محترف ، وأكثر من نصف الباقي كانوا مخبرين مبتدئين . وغير المخبرين المحترفين والمبتدئين ، كان المتطوعون ، ومعظم الذين لم يكونوا مخبرين محترفين أو مبتدئين أو متطوعين ، كانوا من هواة الاستخبار . وقد وجد ذلك الرئيس أن هؤلاء المخبرين غير كافين ، فاستقدم من الدول الأخرى خبراء ومستشارين في الاستخبارات . وبالنظر إلى أن عدد المخبرين كان ضحماً جداً ، فقد كانوا لا يكتفون بالإخبار عن الذين ليسوا من المخابرات ، وحتى يؤدي واجبهم ، ويستحقوا الأجور التي يقبضونها ، ولأنهم لم يعادوا البطالة . ولأن إخبارهم عن الآخرين لم يكن ليشبع حجبهم للعمل ، أو يملاً أوقات فراغهم ، كانوا يخبرون عن بعضهم البعض . وكما تفعل القبط الصغيرة عندما تمسك ذيوها ، كان الواحد من المخبرين يخطو خطوة ويرجع لينظر وراءه شاكاً بوقع خطاه . كثيرون منهم لإحقاق أنفسهم من خلال آثار خطواتهم ، حتى إن البعض من المخبرين من قبض على جاكيتيه أو تم بطلونه في ظلام الليل . كثير منهم من يستيقظ من نومه مدعوراً من صوت شخيره أو من ضراطه ليبلغ عن إطلاق رصاص بندقية أو قذيفة مدفع . ولكون بعضهم قد مُنح جوائز ، تقديراً لاصطدام رؤوسهم بالجدران أثناء ملاحظتهم ظلالهم للقبض عليها .. فقد ارتفع عدد ملاحقي الظلال . وكان أيضاً من أخبر عن خياله في المرأة ، في الماء الراكد ، في السطوح العاكسة .

لم يبق — تقريباً — في تلك الدولة أحد من غير المخبرين ، وهؤلاء الباقون ، الذين عددهم

لا يذكر بين كل أولئك المحترفين والمبتدئين والهواة والخبراء والمستشارين ، الأجانب منهم والمحليين ، كانوا يثورون ضد الرئيس . ليس بالمدفع ، ولا بالبندقية ، بالتأكيد ، ولا بالمظاهرات ولا بالاجتماعات ، قطعاً .. طيب بماذا إذن ؟ لقد كان هؤلاء ، القليلون جداً ، الذين ليسوا مخبرين ، يثورون على الرئيس ويعارضونه ، بتأليف نكت ساخرة ومضحكة عن هبله . وقد راجت هذه النكت في المجتمع وأخذت تكثر وتنتشر من لسان الى لسان ، ليس في تلك الدولة فقط ، بل وفي أرجاء العالم كله .. الى درجة أن المخبرين أنفسهم كانوا لا يمسكون أنفسهم عن رواية النكات التي يطلقها أعداء الرئيس .

بعض الناس كانوا يحسبون كم يكلف الرئيس على الشعب من أموال ، وذلك بإحصاء عدد النكت التي تحكي عن هبله ، فكان يُحسب ما يحصل عليه الرئيس شهرياً ، سنوياً ، أدونات سفره ، مدفوعاته الخاصة ، ثم يقسمون الناتج على عدد النكت ، فينتج (ثمن الرئيس) . ولكي ينخفض ثمن الرئيس كان الشعب يؤلف النكت باستمرار . كانت النكتة الواحدة تكلف كذا مليوناً من الليرات ، وبالرغم من كون الحالة هكذا فقد كان الشعب ممتناً للرئيس ، فإذا كان لم يقدم شيئاً البتة ، فهو نافع من أجل تأليف النكت التي تُضحك الشعب ، فالذين سبقوه لم يتفعلوا حتى في هذا .

بعد زمن كثرت النكت التي تحكي عن هبل الرئيس ، حتى إن هذه النكت أخذت تؤتي مالم تؤته الكتابة ، الرسم ، الصباح ، الصراخ ، الاجتماعات ، المسيرات ، التنظيمات السرية ، المعارضة القوية ، الانتفاضات المسلحة . النكت المضحكة الساخرة لم تقتصر على الرئيس ، بل إنها شملت نظام الرئاسة كله ، مثلها مثل الفيروسات الصغيرة التي لا تُرى بالعين ، ومع ذلك تغل في الجسم ، تهشه ، تحريه .

وفي مثل هذا الوضع لا يتوقف المخبرون عن عملهم بالطبع ، ولقد كان سبب عدم اخبارهم عنها في السابق هو قوة النكت وبلاغتها في إظهار هبل الرئيس . فكيف يمكن القول أن الهبل الذي تحكي عنه هذه النكت يمثل سلوك الرئيس ، وأن السخرية فيها تقصد شخص الرئيس ؟ غير أن النكت انتشرت وكثرت يوماً بعد يوم ، بحيث لم يبق مفر من إيصالها للرئيس ، فهذه النكت تسخر من الرئيس على نحو سافر ، ولابد بالتالي من أن يعرف بأنه المقصود بها ، فيغضب ، ويطلب معاقبة كل من ساهم في تأليفها بأقصى العقوبات .. حتى إنه قد يمنع روايتها .

جمع المخبرون ذوو المراتب الدنيا القابعون في قاعدة هرم المخابرات النكت من بين الشعب

ورفعوها لمن هم أعلى منهم ، الأعلى منهم رفعوها بدورهم لمن هم أعلى .. دواليك حتى تجمعت النكت كلها عند قائد المخابرات .. تخمين قائد المخابرات وقتاً مناسباً ، وفي إحدى الليالي ، في القصر ، وبوجود بعض المسؤولين الكبار ، وبيننا هم يتجادبون أطراف الحديث ويضحكون ، روى قائد المخابرات إحدى هذه النكت . ضحك الرئيس ضحكة ...! عندما روى قائد المخابرات النكتة عرف المسؤولون أن عليهم أن يضحكوا بدورهم ، فضحكوا . ياله من رئيس لطيف ! إنه يضحك حتى من السخرية التي تتناولها . سأله الرئيس :

— وهل ثمة نكت ساخرة أخرى كهذه ؟

قال قائد المخابرات :

— نعم ياسيدي !..

وروي النكت واحدة تلو أخرى .

دمعت عينا الرئيس من شدة الضحك .. كاد يتمزق من الضحك :

— إن مارويته نكت مضحكة للغاية .. كم إنها تُبرز جانب الهبل عند نائبي الأول ..

حذار من أن تصل مسمعه فيزعل !.. مهبول أو غير مهبول ، لايم ، لكنه ، كيفما كان ، نائبي الأول ، ولأريد أن يسمعها .

هكذا شاء الرئيس ، لكنه مع ذلك طلب سماع المزيد من هذه النكت ، ليضحك على

هبل نائبه الأول .. ضحك حتى انقطع نفسه ..

فكر قائد المخابرات الذي لم يكن يعرف من الذي أُلّف هذه النكت المفسدة لنظام

الرئاسة كله ، والتي تفسد بالتالي موقعه .. فكر في أن يروها للنائب الأول للرئيس ، الذي

سيفهم — لا بد — أن هذه النكت ترمي إلى الهزء منه ، فيمنع هذا النوع من النكت . تخمين

فرصة مناسبة وروى إحدى هذه النكت في بيت النائب الأول للرئيس . ضحك نائب الرئيس

على نحو جعل كل الذين كانوا عنده يضحكون . سأله :

— ألا توجد نكت أخرى من هذا القبيل ؟

أجاب قائد المخابرات :

— إنها كثيرة جداً ياسيدي !

وروي بقية النكت .

من شدة الضحك أخذت عينا النائب الأول للرئيس تدرقان الدمع .

قال النائب الأول للرئيس :

— في الحقيقة إنها نكت مضحكة جداً ، ومن جهة ، إنها تُظهر هبل رئيس وزرائنا عا

نحو جيد . إذا وصلت سمعه فسيكون ذلك معيباً .. أهبل أو غير أهبل ، ومهما يكن الأمر ،
إنه رئيس وزراءنا ، وأنا لأريد أن يعرف أننا نسخر منه .
أصرَّ قائد المخابرات على أداء واجبه ، وإذ وجد فرصة مناسبة في ليلة كان فيها بعضهم
معزوماً إلى بيت رئيس الوزراء ، حكى النكت . ضحك رئيس الوزراء وهو ممسك بجالييه ، ثم
قال :

— نكت ساخرة وجميلة جداً جداً .. وكَم إنها تتناول وزير خارجيتنا على نحو موفق ! لكن
من المعيب أن تصل هذه النكت الى مسمعه . أهبل ؟ فليكن ؟ أليس واحداً منا ، ونعمل في
مكان واحد ؟ لأريد أن تصله .

انتهر قائد المخابرات فرصة حكى فيها النكت لوزير الخارجية . قال وزير الخارجية وهو
يقهقه إن هذه النكت تحكي عن هبل وزير المالية .

وكاد آخر وزير رويت له هذه النكت يتفزز من الضحك وقال :

— ياإلهي كم يسخرون من مديرتنا العام .. لكنه معيب أن تصل سمعه . لأريد أن
يسمعها . ضحك المدير العام عندما سمع النكت من قائد المخابرات حتى كاد يغمى عليه .. ثم
قال :

— إنها نكت لطيفة ، وهي تحكي عن هبل مدير الدائرة الفلانية .. ومهما يكن الأمر ،

لأريد أن يسمعها ... عيب !

حكى قائد المخابرات النكت لمدير الدائرة الفلانية . قال مدير الدائرة الفلانية ، وهو

يقهقه ، إن هذه النكت تتناول هبل معاونه وأنه لا يريد أن تصل إليه :

— ليكن مايكون ، إنه معاوني ولأريد أن تصل سمعه .

قال معاون مدير الدائرة الفلانية عندما سمع النكت من قائد المخابرات إن المقصود بها إنما

هو رئيس الشعبة .. وأضاف :

— هو أهبل ، نعم ، لكنه مع ذلك رئيس شعبتنا ولأريد أن يسمعها .

رئيس الشعبة ، عندما سمع هذه النكت من قائد المخابرات قال إنها مؤلفة بهدف

السخرية من رئيس القسم . قال رئيس القسم لقائد المخابرات بعد أن سمع النكت وهو يقهقه إن

هذه النكت قد ألقت بهدف السخرية من موظف دائرتهم الذي يقع في أسفل درجات سلم

الرواتب .

كان هدف قائد المخابرات أن يعتقد أحد أولئك المسؤولين الذين روى لهم النكت أنها

مؤلفة عليه فيغضب .. لأنه لوغضب واحد منهم لتخلص الجميع ، وعلى رأسهم الرئيس ورئيس

الوزراء وباقي المسؤولين منها .
روى قائد المخابرات النكت الساخرة للموظف ذي الدخل المحدود الواقع في أسفل درجات سلم الرواتب .

لم يضحك الموظف ، كان هو أول انسان يسمع هذه النكت ولا يضحك . دع الضحك جانباً ، فلقد امتقع لونه واصفرَّ عندما كان قائد المخابرات يروي النكت الواحدة تلو الأخرى . تلفت الموظف يمينا ويساراً ، لأحد .. نظر وراه .. لأحد ! عندئذ قال لقائد المخابرات بصوت متحشرج :

— صدقني إنني أسمع هذه النكت لأول مرة منكم !...
سحب قائد المخابرات نفساً عميقاً . إنه لم يعرف مَنْ هو المقصود بتلك النكت ، لكنه ، في آخر المطاف ، عثر على المجرم الذي أُلّف النكت ، وقبض عليه .

القصة التي لم يكسبها اللوفتينين

نظمت الحيوانات مسابقة لانتقاء أذكى حيوان بينها . ولأن كل حيوان كان يظن نفسه الأذكى ، فقد كان كل منها يعتقد أنه سيفوز بالمسابقة . بيد أن الجميع كانوا يعرفون بوجود مرشحين قويين للمركز الأول في هذه المسابقة : الثعلب والسنسار .. لا يوجد من يفوق هذين الحيوانين في الذكاء والشيطنة ، وكان سيفوز بالجائزة هذا أو ذاك .

كانت المنافسة على المركز الأول تستعر بين المرشحين القويين على نحو مخيف كلما اقترب اليوم الذي ستجرى فيه مسابقة انتخاب الحيوان الذكي . لقد تحول ذاك الحيوانان الذكيان إلى عدوين ، وأخذ كل منهما يعمل ، بكل مأوئي من حيلة ، على إفشال الآخر .

كان السنسار يقول :

— ماعندي مانع أن يخسر الثعلب ، وحتى لو لم أربح ، فأنا راض بذلك ..

والثعلب من جهته يقول :

— ليخسر السنسار ، ومن بعدها فليفتر من يفوز ..

وإذ بلغ الأمر هذا الحد من العداوة أخذ كل من السنسار والثعلب يبحثان عن مرشح آخر للمركز الأول في مسابقة الحيوان الذكي .. بحثا عن حيوان لا يمكنه الوقوف أمامهما في سباق الذكاء ، بحيث لا يشكل أي خطر عليهما ، بمعنى آخر ، يجب أن يكون من أكثر الحيوانات غباءً .. وقد وجدا ، بعد البحث المضني ، أن هذا الحيوان هو (التيس) .

جاء السنسار صباح أحد الأيام إلى جانب التيس الذي كان يرعى في سهل أخضر ،

ويادعه بالكلام قاتلاً :

— مرحباً يا أخي التيس !

وراح يمتدح ذكاء التيس .

قال التيس باسمياً بكثير من التواضع :

— إنك تسخر مني يا أخي السنسار ؟

قال السنسار :

— ولماذا أسخر منك ؟ وهل بلغ بي المقام أن أسخر من أذكى الحيوانات قاطبة ؟

واستمر السنسار يمتدحه ويلطفه وينعته بأنه أذكى الحيوانات !.. ولم يكتف بهذا ، بل

عمل أيضاً على إقناع الحيوانات الأخرى بأن التيس أذكى الحيوانات .

بعد السنسار جاء الثعلب إلى جوار التيس الذي كان يرعى في السهل . قال للتيس

الذي راح ينظر إليه مستغرباً :

— آه يا أخي التيس ! إن شرر الذكاء يقدح من عينيك .

قال التيس :

— لست تيساً بالقدر الذي تظنه ... أنا أعرف نفسي ..

قال الثعلب

— صدقتي أخي التيس ، عندما أنظر في عينيك اللامعتين اللتين تقدحان شرر الذكاء ،

أرجع إلى نفسي قانعاً بأنك المرشح الوحيد الذي لامنافس له في مسابقة أذكى الحيوانات .

ولكي يُعرف بذكاء التيس بدأ الثعلب يشن حملة دعائية أكبر من حملة عداوة السنسار .

كانت الحيوانات تعرف ، حق المعرفة ، أن التيس ليس ذكياً ، وأنه لن يربح المسابقة ، لكنها ،

وبالرغم من أنها لم تصدق الكذب الذي أطلقه الثعلب والسنسار حول ذكاء التيس ، كانت

تتظاهر بأنها مصدقة ، وراح بعضها يحكي للآخر — متسخرًا — عن ذكاء التيس :

— دحيلك يا أخي الزرافة .. هذا التيس ياه .. أنا لم أر أذكى منه حيواناً .

— لأدري يا أخي النعام .. حتى إن التيس أذكى مني . ما قولك يا أخ لقلق ؟

— بالنسبة إلي سأعطي صوتي في مسابقة أذكى حيوان للتيس ، دون أن يرف لي

جفن .

أصبحت حيوانات الجبال ، المناطق الوعرة ، الغابات ، الصخور ، الصحارى ،

الوديان .. تحكي عن ذكاء التيس .

— أذكى الحيوانات : التيهس !

— لا يوجد أذكى من التيهس !

— أذكى واحد فينا : التيهس !

بعد هذه الدعاية الاعلامية المكثفة التي قامت بها الحيوانات بدأ التيس يصدق أنه أذكى الحيوانات . صار يقول لنفسه :

— الحيوانات كلها : ابن آوى ، السنسار ، الثعلب .. تقول إنني أذكى الحيوانات .. لا يمكن أن يُخدعوا جميعاً ياه .. ومادام الأمر كذلك فان مايقولونه صحيح .

حل يوم المسابقة . أجمعت الحيوانات كلها على أن التيس هو أذكى حيوان . وبهذا ارتفعت مكانة ، وظيفة ، مرتبة ، عمل التيس بين الحيوانات . صار التيس يمشي متغطرساً ، ويخرج صوته منتفخاً ، ويذُرُّ برعه من تحت ذيله ذرّاً .

راح يوم أتى يوم ..

سُتجرى مسابقة لاختيار أفضل حيوان يضرب بالجوز^(١) . ولا شك أبدأ في أن الأفضل سيكون حيوان حراثة ، الحصان أو البغل ، ولو أن الحمار يدس نفسه أحياناً ، قائلاً .

— أنا الآخر ، رفستي بالجوز قوية !

لكن اسمه لا يذكر بجوار اسم الحصان أو البغل .

البغل خاف من أن يفوز الحصان ، والحصان خاف من أن يفوز البغل في هذه المسابقة . بين هذين الحيوانين منافسة تاريخية مزمنة في الرفس بالجوز . موعد المسابقة يقترب فيحمي وطيس المنافسة بين هذين العذوين اللدودين . الحصان يقول :

— هيه ! وهل رفسة البغل بالجوز رفسة ؟ إن رفسة التيس بالجوز أقوى من رفته .

وما أهمية رفسة حيوان أبوه الحمار ؟

والبغل يقول :

— البعوضة لاتتمعس برفسة الحصان بالجوز . رفسة التيس بالجوز أقوى من رفته .

ذهب الحصان إلى التيس الذي كان يشرب الماء من الوادي .

قال له :

— أيها السيد تيس ! لست أذكى حيوان في الدنيا وحسب ، بل إن رفتك بالجوز

أقوى رفسة بالجوز بين حيوانات العالم .

قال التيس وهو يدوس بقائمتة الخلفية اليسرى على زيلة الحصان الطازجة لتصدر صوت

فش ش ش :

— رحماك يا أخي الحصان ! وهل يؤتى على ذكر رfstي بالجوز وأنت موجود ؟ ..
— لا .. ه .. ياسيد تيس .. أنت ، برfسة بالجوز واحدة ، توقع البغل . فلا تتواضع دون

سبب .

ذهب الحصان . جاء البغل إلى التيس وقال :

— أقدم احترامي للتيس صاحب أقوى رfسة بالجوز في العالم .
في البدء لم يكن يريد تصديق هذا الكلام ، لكنه ، إذ قال البغل :
— رfstي بالجوز ورfسة الحصان بالجوز لاتساويان شيئاً أمام رfstك .
قال لنفسه :

— أنا لأعرف كما يعرفان ياه ..

وباشر يصدق أن رfstه بالجوز هي الأقوى .

كان كل حيوان يعتقد أن رfstه بالجوز هي الأقوى ، حتى الديك فقد كان يظن أنه يستطيع الرفس بالجوز بواسطة مهمازه . ولهذا السبب أرادت الحيوانات كلها أن يُنتخب حيوان ضعيف للرفس بالجوز .

جاء يوم المسابقة . توحدت آراء الحيوانات جميعاً على أن التيس هو صاحب أقوى رfسة بالجوز .. وهكذا أصبح التيس أشد الحيوانات ذكاء ، صاحب أقوى رfسة بالجوز ، فعلت من ثم مكانته ، وظيفته ، عمله ، مستواه .. أكثر فأكثر في مجتمع الحيوان .
راح يوم جاء يوم ...

ستجرى مسابقة للحيوان الأسرع بالركض . كل حيوان ، حتى السلحفاة ، يعتقد أنه أسرع الحيوانات في الركض ، لكن الكل يعرف أن أسرع الحيوانات في الركض هو : إما الأرنب أو الكلب السلوقي . في كل زمان وفي كل مكان تنشأ الغيرة وينشأ العداء بين الأقوى والأضعف ، والواحد لا يطيق الآخر .. لذلك ، وبالرغم من معرفتهما بأنهما الأسرع في الركض ، حاول كل من الأرنب والكلب السلوقي منع الآخر من الفوز .

اقرب يوم المسابقة فتحول أخطر المتنافسين ، الأرنب والكلب السلوقي إلى عدوين . قال الكلب السلوقي :

— إذا لم أكن سأطلع الأول في هذه المسابقة ، فليطلع التيس ! ولأن الأرنب فكر بالطريقة

ذاتها فقد ذهب الى التيس وقال :
— أنت لست أذكانا ، وأفضلنا في الرفس بالجوز وحسب ، بل وأسرعنا في الركض ياسيد تيس !

قال التيس للأرنب :

— الكلب السلوقي يفكر كما تفكر أنت أيضاً .

جاء يوم المسابقة . بدأت الحيوانات تركض . مستطيمو الركض بسرعة صاروا يعرفلون ويستقنون أنفسهم .. الكل أراد أن يطلع التيس أبطاهم طراً ، الأول في الركض ، وأخذوا يفسحون له المجال .. أخيراً طلع التيس الأول .

ارتفعت مكانة ، مستوى ، عمل ، شأن التيس في مجتمع الحيوانات أكثر وأكثر ، ذلك أنه فاز بمسابقة أسرع حيوان في الركض ، وأقوى رفسة بالجوز ، وأذكى حيوان . رفع التيس منخريه وصار لا يمكن الاقتراب منه .

راح يوم جاء يوم .. سيُنتخب أجمل حيوان . الحيوانات كلها تعرف أن أجمل حيوانين : الغزال وعنزة الجبل ، وكلها تغار من هذين الحيوانين . ولئلا يُختار أحدهما كأجمل حيوان ، فليطلع التيس أجمل حيوان .

الغزال وعنزة الجبل بدأ يشنان دعاية مضادة كل على الآخر . كل منهما يُظهر الآخر قبيحاً للغاية . صارت العنزة تقول عن الغزال ، والغزال عن العنزة :
— التيس أجمل منه (منها) .

وبالرغم من معرفة الحيوانات أن هذا الكلام كاذب فقد بدت وكأنها مصدقة . جاء يوم الانتخاب فأعطت الحيوانات أصواتها للتيس . انتخب التيس كأجمل حيوان ، وكان أجمل الحيوانات ، الغزال وعنزة الجبل ، ممتنين من هذه النتيجة .

راح يوم أتى يوم ..

سيُتخب الحيوان الجارح الأول . كان ثمة مرشحان : الذئب ؛ والآخر من الطيور ..
وعندما يقال طير فمؤكد أنه ليس السنونو .. بل الصقر . لا يوجد جارح أشد من الذئب
والصقر . وبالرغم من معرفة الحيوانات هذه الحقيقة فقد كان كل منها يظن نفسه الجارح
الأول .

ذهب الصقر إلى التيس . وهو يستطيع أن يتقض عليه ويأكله — وقال له .

— ياسيد تيس ! الذئب المجنون يظن نفسه أجرح منك .

قال التيس :

— أنا لست جارحاً أبداً ، فأنا آكل العشب .

— لا ا ا ا .. لا تبدأوا بالتواضع هكذا دون مربر .. أنتم ، قياساً بالذئب ، جارحون

جداً . بعد قليل قال الذئب الذي جاء إلى التيس :

— أحيي أجرح حيوان في العالم !

قال التيس :

— إنكم تغالطون ياأخي الذئب . فأنا أذكى حيوان ، نعم ، وصاحب أقوى رفسة

بالجزر ، بين الحيوانات ، نعم ، وأسرع حيوان في الركض ، نعم ، وأجمل حيوان أنا ، لكنني

لست أجرح حيوان أنت أجرح مني بكثير .

— لا لا .. إذا شئت تكون أجرح مني .

حل يوم الانتخاب .. انتخبت الحيوانات التيس بالإجماع على أنه أجرح حيوان ، وبهذا

ارتفعت مكانته ، شأنه ، عمله ، مستواه . أكثر .

راح يوم جاء يوم .. سيُتخب الحيوان المفكر الأول ، ومؤكد أن أقوى مرشحين هما

اللوزة وديك الحبش ، وكا في كل مرة تخاصم هذان الحيوانان مع بعضهما البعض فانتخب التيس الحيوان

فكر الأول .

راح يوم جاء يوم .. سيُجرى انتخاب للحيوان الحارس الأول ، والمركز سيكون بالتأكيد

لكلب الراعي أو للكلب الذئبي .. لكن ، حتى كلب الراعي والكلب الذئبي أعطيا صوتيهما

للتيس ، وقول التيس (أنا لأستطيع حماية نفسي) لم يمنع من انتخابه .. لكن التيس بعد أن جرى

انتخابه صدق أنه أقوى حيوان حراسة وبدأ يهرم محاولاً النباح كالكلب .

راح يوم جاء يوم .. سيُتخب أضخم حيوان ، وكان يجب أن يفوز الفيل أو الجمل ،

ولأن الثملة ، حتى الثملة ، تعتقد أنها أضخم الحيوانات ، فقد كانت كل الحيوانات تضيق ذرعاً بضخامة الفيل والجمل ، وتريد أن يفوز حيوان آخر . دب الخصام بين الفيل والجمل قبل موعد الانتخابات فاختر التيس كأضخم حيوان .

وصار الاقتراب من التيس صعباً من فرط تطنيبه .

راج يوم جاء يوم . سينتخب أفضل حيوان حلوب . ومعروف أن المركز الأول سيكون للبقرة أو لأنثى البوفالو . لكن حتى الحيوانات غير الثديية التي لم تر في حياتها قطرة حليب ، كاللدجاج ، كانت تظن نفسها أكثر الحيوانات حليباً ، لذلك غارت جميعها من البقرة ومن أنثى البوفالو . والبقرة وأنثى البوفالو من جهتهما وقعتا في خصام منشؤه شدة المنافسة . ولكي يفشل المتنافسون أحدهم الآخر قالوا : إن التيس أكثر الحيوانات حليباً .

عندما جاءت أنثى البوفالو إلى التيس وقالت له إنه أفضل حيوان حلوب ، قال التيس :
— أنتم على الأرجح ، تخطون بيني وبين أختنا البقرة . أنا حتى الآن لم أحلب ، ومن

جهة أنا مالي أئداء .

قالت انثى البوفالو :

— ماشاء الله كان ! أنتم حيوان حلوب إلى درجة أنكم لا تحتاجون إلى أئداء للحلب .

بعدها جاءت البقرة إلى التيس وقالت له إنه أفضل الحيوانات حليباً ، فقال التيس :

— ياهوه ، أنا مالي ثدي حتى أعطي حليباً .

وكان التيس أثناءها يتبول فصاحت البقرة :

— ها هو ! هاهو ! ما أجمل حليبك !..

قال التيس :

— أي حليب ياهوه ؟ إنني أتبول ..

فقال البقرة :

— هذا يعني أنك تشخ حليباً دائماً ، وأنت لاعلم لك ..

وراحت الحيوانات كلها ، وعلى رأسها أكثرها حليباً ، البقرة وأنثى البوفالو ، تنشر أن

التيس هو الحيوان الحلوب الأول حتى اهترت حجارة الجبال من تأثير الدعاية التي نشرت .

— حليب التيس أغنى أنواع الحليب بالسمن !

— حليب التيس أنظف حليب !

— التيس حلوب إلى درجة أنه يشخ حليباً !

حتى صدق التيس نفسه ، مع هذه الدعاية المكثفة ، أن بوله عبارة عن حليب ، وانه يتبول حليباً أصفر .

عندما حل موعد الانتخاب أعطت الحيوانات جميعها ، بما فيها البقرة وانشى البوفالو ، أصواتها للتيس .. وهكذا انتخب كأفضل حيوان حلوب .
راح يوم جاء يوم ..

سينتخب ملك جديد للحيوانات . والأسد ملك الحيوانات منذ الأزل ، ولم يكن ثمة شك في كون الأسد سينتخب ملكاً من جديد . غير أن الثمر رشح نفسه للعرش . صار الثمر يقول :

— إما أنا أو هو .

كان يقول ذلك الكلام ، لكنه خاف من أن يُنتخب الأسد ملكاً . وإذًاك تراجع الثمر الذي كان يقول (إما أنا أو هو) ليقول :

— لا أنا ولا هو !

لدى ترشيح الثمر نفسه للعرش بدأ الأسد يقطع أمله .. فماذا لو انتخبت الحيوانات الثمر ملكاً ؟ راح الأسد ، وحتى لاينتخب الثمر ، يقول :

— لا أنا ولاهو !

كان كل حيوان ، بالرغم من معرفته أنه لايستحق هذا المكان ، ولإليق له هذا المكان ، يرغب في أن ينتخب ملكاً . ولأن الناجح والقوي لايطاق ولايهضم فقد غارت الحيوانات من الثمر والأسد فرشحت التيس للعرش . لأنها انتخبت التيس كأذكى حيوان ، دون أن تكون مصدقة ذلك أن صدقته فيما بعد ، وانتخب التيس كحيوان حلوب أول وهي تعرف أنها تغالط فعاتبها ، وأجمل حيوان .. وقد صدقت كذبتها بعد أن حصل الانتخاب على صفته الرسمية .

إه !.. عندما يكون التيس أذكى حيوان ، وصاحب أقوى رفسة بالجوز ، والأسرع ركضاً ، والأجمل ، والأجرح ، والمفكر الأول ، والأفضل في الحراسة ، والأضخم ، والأغزر حليباً .. فلماذا لا يكون ملك الحيوانات ؟ إن هذه المزايا جميعها لا يتمتع بها لا الأسد ولا الثمر ... هذا كله بالاضافة إلى أن الخصمين ، الثمر ، والأسد الذي كان على مدى التاريخ ملكاً ، وحتى لاينتخب أحدهما ملكاً دون الآخر ، صرحا بأن التيس لائق لهذا المنصب أكثر منهما .

كان الثمر ، مرشح العرش الجديد ، يقول :

— العرش من حق التيس !

ثم لا يضيف شيئاً آخر .

بقية الحيوانات ، لأن أياً منها لا يستطيع أن يصبح ملكاً ، أرادت أن يكون التيس ، الأقل مقدرة على الأذى ، ملكاً ، لأنه لا يعتبر منافساً أبداً .
ظن الملك التيس نفسه ملكاً بحق وحقيق وصار يتصرف كالمملوك ، وراحت الحيوانات تعتبره ملكاً حقيقياً .

كتب الكركدن مؤرخ الحيوانات هذه الواقعة في كتاب تاريخ عصره على النحو التالي :
« يتنافس الحصان والبغل فيكسب الحمار الواقعة .. ويأتي زمن يتصارع فيه الأحمقاء ،
ووقتها يصبح التيس ملكاً ! » .

الفقران لكل بوعصها

في أحد الأزمان وأحد البلدان .. لا ؛ الحكاية لاتصح هكذا ، تصح إذا حددنا الزمان
والمكان .

الزمان : بعد الميلاد .

المكان : مكان ما في هذا العالم .

ها قد صار الزمان والمكان معروفين .

لنأت إلى الحادثة . في المكان الذي ذكرناه ، والزمان الذي حددناه ، كان ثمة مخزن
كبير . المخزن كان مملوءاً بما يؤكل ، يحرق ، يغسل .. يلبس . كل شيء مفصل مرتب .
الخضار اليابسة كالحمص والفاصولياء والبقول .. في طرف ، الحبوب كالذرة والأرز والشعير
والجلبان .. في طرف ، الألبسة والأحذية في طرف آخر .

كان يدير المخزن المحدد المكان ، في الزمان المذكور ، مدير ناجح . جاء يوم لم يعد يعرف المدير
الناجح ماذا يعمل ، فالفقران احتلت المخزن ، المأكولات صارت تتناقص ، فالفقران قرضت
الجبن والحخبز المقمر .

المدير الناجح لا يجلس ويده في خصمه ، أبداً ، لا يقف دون عمل شيء . حارب الفقران
بكل ما أوتي من بأس ، لكنه ، وبالرغم من كل ما بذله ، لم يكسب الحرب . الصابون وقطع
الجبن تتناقص يوماً إثر يوم ، الملابس أصبحت متقبة ومهترئة .. أعشاش الفقران بنيت داخل
أكياس الطحين .

لم يبق اطمنثان على سلامة المخزن من الفئران التي أخذت تسمن وتجمعج وتتكاثر كلما أكلت من الحبوب والأطعمة . غص المخزن بالفئران ، احتل جيش منها المخزن الكبير ، وبدا وكأن الوقوف في وجهه مستحيل . ولم تكتف الفئران بالتهام المأكولات وقروض الملبوسات وقضم الجبن والسجق ، بل إنها راحت تسن أسنانها وأظافرها بالجلود والأحذية والخشب .

أصبحت الفئران ، من وفرة الغذاء ، بحجم القطط ، ومع الزمن بحجم الكلاب . وكانت لايجع أبداً ، تتراكم وتتلاعب في المخزن وتنطنظ وتتقاقر ، وفوق ذلك سدت أكثر الأماكن تهوية وجمالاً وإنارة فيه .

المدير الناجح استمر في حربه مع الفئران دون هوادة . وضع أكثر أنواع السموم مضاء في كل جهة وفي كل صوب .. لم يستفد شيئاً ؛ لابل إن الفئران اعتادت على السم المقدم لها ، لأنها كانت تنتشي بتناولها كما ينتشي الانسان المعتاد على سموم النشوة ، وبدأت ، مع مرور الزمن تطلب السم أكثر .. وإذا لم يقدم لها السم ، مع الزيادة عن اليوم السابق ، كانت تدب الأرض بأرجلها ، فتكاد تهد المخزن .

جمع مدير المخزن أفضل أنواع قطط الصيد وفلتها في المخزن ليلاً ، وفي الصباح وجد وير القطط المسكينة وبقايا عظامها .. لم تستطع القطط مجابهة الفئران ، ولم يقتلها أقطع السموم . بدأ المدير الناجح بصلي أفخاخ كبيرة ، وصار يحدث أن يقع بعض الفئران في الفخ ، لكن ، إذا وقعت خمس فأرات في الفخ ليلاً ، فإنها كانت تلد ما لا يقل عن عشرين أو ثلاثين فأراً في النهار .

وفكر المدير .. اهتدى إلى طريقة فريدة : صنع ثلاثة أقفاص حديدية ، رمى فيها كل ما كان يقع من الفئران في الفخ وهي حية . امتلأ كل قفص من الأقفاص بالفئران . لم يقدم للفئران التي في الأقفاص طعاماً أو أي شيء . اختارت الفئران التي باتت على الطوى ثلاثة أيام ، خمسة أيام ؛ اختارت الفئران الأضعف بينها ، قطعها ، أكلتها ، أشبعت بطونها .. وبعد وقت جاءت .. بدأت تتصارع ، ونتيجة صراعها الدامي هذا سطت على واحدة من بينها ، خنقتها ، قطعها ، والنهتها .. وهكذا أخذ عدد الفئران يتناقص مع مرور الزمن : تبقى الفأرة الأكبر ، صاحبة العزم الأقوى .. وتتقطع الفأرات الضعيفات ويؤكلن .

تحولت الأقفاص المملوءة بالفئران إلى ميادين حرب حقيقية .. بقي في كل قفص من الأقفاص ثلاث إلى خمس فئران ، والفأرات الباقيات صرن يترامين على بعضهن ويتعاضضن قبل أن يشعرن بالجوع ؛ ذلك أن الواحدة منهن ، إذا لم تفتك بالأخرى فإن الأخرى ستقطعها

تقطيعاً .

لذلك صارت كل فأرة من الفئران ، من أجل حماية روحها ، تستغل فترة نوم أو سهو الفأرة الأخرى لتنقض عليها وتخفقها وتقطعها . وأكثر من هذا : صارت تتحد فأرتان أو ثلاث في كل قفص ، ويهاجمن أخرى ، وتلك المتحدة ، في المطاف الأخير ، تتحايين الفرص ليأكل بعضها البعض الآخر .

أخيراً بقي في كل قفص فأرة واحدة : الفأرة الأقوى ، الأذكى ، الأكبر ، الأكثر صموداً .

عندما بقي في كل قفص فأرة واحدة فتح الرجل أبواب الأقفاص وفتت الفئران داخل المخزن واحدة ، واحدة .

بدأت تلك الفئران الثلاث ، الضخمة ، المغدأة ، المتوحشة ، المعتادة على أكل بنات بنسها ، تنقض على فئران المخزن ، مهما بلغ عددها ، تخفقها وتقطعها وتلتهمها .. ولكونها نوحشت فقد صارت تأكل ما يأكل من الفئران وتقتل الباقيات من أجل حماية نفسها ، لئلا تخفقها وتلتهمها الفأرات الأخرى .

وهكذا ، ولو لم يكن أبداً ، فلمدة من الزمن ، تخلص المخزن الأنف ذكر زمانه ومكانه من الفئران .

الحكاية انتهت هنا .

سؤال أوجهه لكم الآن : كيف خطر ببال المدير الناجح هذا المكر الذي لا يخاطر بهال الشيطان ؟ كيف اهتدى إلى أسلوب الخلاص من الفئران وذلك وبإطعامها بعضها البعض ؟
الجواب : لأن مدير المخزن الناجح كان الفأر الأقوى الذي بقي سالماً بنتيجة تآكل أبناء جنسه . لقد أصبح مديراً لكل ذلك المخزن عن طريق أكل وقتل أصدقائه .. طبقاً على الفئران أسلوب حياته الخاص .. الناجح .

النتيجة : الفئران تأكل بعضها .

الفهرس

٥ المقدمة
٦ تنكة صدنة في الخزينة
١١ رجل يعيش في روما القديمة
١٨ يا مواطني .. اصعدوا
٢٣ رجلان مع حشرة عمس
٣٠ الحازوق الداخل في السلطان
٣٤ الملك الذي اتخذه الغريان
٣٩ قصة صينية
٤١ الجوهرة التي لا يراها الأرباش
٤٥ السيد تيس والسيد أحمد
٤٩ البرغوث وأضخم ملك في العالم
٥٦ كلب الراعي والقطار
٥٩ دولة المتطالين
٦٣ كونوا بشراً يا صفاري
٦٧ الملك الذي يعرف نفسه
٧١ السيدة قردة
٧٥ الحمار الحائر على الوسام
٧٩ وصية المرحوم
٨٢ وتر الطنبور
٨٧ قصة البرطمة
٩١ الحمار ورئيس الوزراء
٩٥ بصة الأسد
٩٩ يا أحد الأيمان
١٠٤ القصة التي لم يكتبها لافونتين
١١٣ الفئران تأكل بعضها